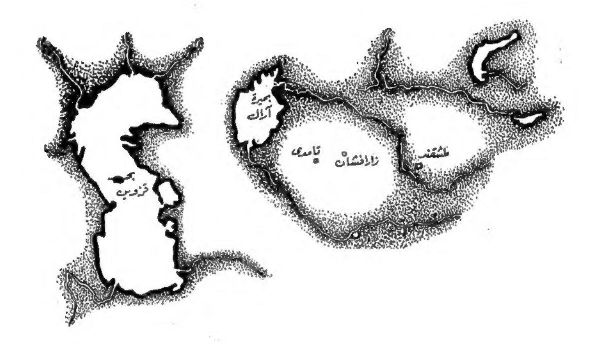
معجزة في آسيا الوسطى





معجزة فى آسيا الوسطى





لقد شاهدت المعجــزة بعينى رأسى خلال اسابيع ثلاثة امضيتها فى طشقند وفى بخارى وسمرقند بجمهورية اوزبيكستان السوفييتية . ومن أجل أن يشاركنى القراء الأعزاء فى الالمام بهذه المعجزة رأيت أن نبــدأ بالتعرف على القصـــة مــن اولهـا .. قصـة الانســـان فى ((اوزبيكستان)) وكيف كان شكــل الحيــاة عليها قبل خمسين سنة مضت . ∞∞∞∞∞∞∞∞∞ ز .

شئ من التاريخ



قامت الدولة الخوارزميــة على انقاض حكم سلاجقة ايران والعراق ، الا انه لم يكن يربطها بالدولة العباسية سوى الخطبة للخليفة العباسي وكان اول من استقل بحكمها « علاء الدين خوارزم شاه » (١١٩٩ ــ ١٢١٩) بعد ان تغلب على مجموعة من الترك الوثنيين كانت بينها وبين المسلمين احداث وقــد تمكن من هزيمة السلطــان السلجوقى فى ١١٤١ م وسيطر على بلاد ماوراء النهر حتى تمت الهزيمــة اخيرا على يــد « علاء الــدين » ، الذى امتدت مملكته من حدود العراق الى تركستان فشملت بلاد (غزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل بما فيها أصفهان والرى وبعض اراض من الهند ، ثم تجاوز شمــالا الى ماوراء النهــر ــ جيحون ــ حيث بخارى وسمرقند . وقد ذكر عنه « ابن الاثير » فى « الكامل » :

(لم يملك بعد السلجوقية احد مثل ملكه .)

كما جاء فى كتاب « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » :

(ان جيش علاء الدين بلغ ٤٠٠ ألف محارب .)

الا ان « علاء الدين » هذا وقع فى خطا مميت ، عندما جاءت الى بلاده رسل موفدة مــن زعيم المغول « جنكيزخــان » ، فأخــذه الغــرور بقوته وباسه ، مع دافع من الطمع ايضا ، فأمر واليه فى « أوترار » بقتــل هؤلاء الرسل ومصادرة الأموال التى يحملونها . وكأنما احس بخطئه ، فأراد أن يتعرف على رد الفعــل عند المغول ، فبعث ببعض جواسيســه الى هناك سرا . ويذكر « ابن الاثير » ذلك :

(وعادوا بعد مدة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن

الاحصاء ، وانهم من أصبر خلق الله على القتال ، لا يعرفون الهزيمة ، وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بأيديهم .)

ويعقب « ابن الاثير » على ما حدث بعد ذلك :

(فندم خوارزم شاه على قتل أصحابهم وأخذ أموالهم . وحصل عنده فكر زائد .)

ولا حاجة بنا الى الدخول فى التفصيلات ، سوى أن جحافل المغول بقيادة « جنكيزخان » ذاته اجتاحت البلاد ودمرت كل ما صادفته وفتكت بالناس فتكا ذريعا ومبيدا بغير رحمة وذلك فى ١٢١٩ ميلادية .

ومنذ ذلك الزمن البعيد ، وحتى القرن التاسع عشر ، كانت هذه البقعة من آسيا الوسطى مجالا مباحا ومفتوحا لكر الغزاة وفرهم بعد أن أصبحت مطمعا لأمراء الاقاليم المجاورة ، ولهذا كانت تسمى « تفاحة النزاع » ، وانعكس هذا على ظروف الحياة بحيث جعلها تمكث طويلا فى دائرة التخلف والتأخر ، فى الوقت الذى كانت بلدان أوروبا الغربية تسير بخطا واسعة فى طريق النهضة الصناعية بعد اكتشاف البخار وامتداد النشاط التجارى والعلمى بين ربوع العالم .

وكان آخر المطاف أن وقعت « أوزبيكستان » مع سائر دويلات آسيا الوسطى فى قبضة الحكم القيصرى الروسى ، واطلق عليها اسم « تركستان » .

ومنذ ذلك الحين تبدأ مرحلة جديدة فى حياة الانسان هناك .

حقيقة لم تعد هناك حروب بالصورة الوحشية السابقة ، ولكن أصبحت هذه البلاد وقد تسلط فوق رؤوسها ما هو أشد هولا . فقد أصبحت « تركستان » مجرد مستعمرة لقياصرة روسيا ، وكان يحكم باسم القيصرية حفنة من اغنياء البلاد وكبار الملاك العقاريين والاقطاعيين وطبقة البابات ؛ وكان المنهج الدائم لهذا النوع من نظم الحكم ، هو العمل على ابقاء هذه البلاد فى أدنى درجات التخلف والفقر والجهالة وانعدام كافة الحقوق لعامة الشعب .

لهذا ، لم يكن غريبا أن تنتشر الأوبئة والأمراض المعدية وتحصد أرواح عشرات الألوف من البشر .

فالنظام الاستعمارى القيصرى لم يظهر اقل اهتمام بتطوير الحياة فى تركستان . فلا تعليم يذكر ولا ثقافة على الاطلاق لعامة الشعب ، وفى نفس الوقت ظلت وسائل الزراعة على حالها البدائى ، وكذلك الصناعة وكافة الخدمات وفى مقدمتها الصحة .. كلها كانت بنودا مستبعدة من برامج وخطط الحكم القيصرى المستبد ، الا بندا واحدا كان يحظى بكل الاهتمام ، هو متابعة الدعم لسياسة السيطرة الادارية عن طريق زيادة قوات الجيش والامن .. ولا غير .

والغريب حقا ، أن هذه الحسابات القيصرية جاءت بنتائج معاكسة للعرض الموضوع لها .

هذا النظام الاجتماعى الفادح والذى يحمل الطابع العدوانى للقومية الروسية القيصرية ، أثار واستفز فى جماهير آسيا الوسطى روح المقاومة ، وأيقظ لديها أهمية وضرورة الالتحام بالحركة الثورية الناهضة فى روسيا والتى كان الحزب الشيوعى يقودها .

وجاء فبراير ١٩١٧ لتندلع نيران ثورة مبكرة أطاحت بالحكم الاستبدادى المطلق وانهت الادارة الاستعمارية للجنرالات والحكام العامين لروسيا القيصرية فى « تركستان » . فبدأت تتأسس هناك مجالس العمال والجنود ، التى ظهرت متأثرة بنفس اتجاهها مجالس الكادحين المسلمين أيضا .

ولكن الحكومة البورجوازية المؤقتة فى روسيا التى كان يرأسها « كيرنسكى » ، كانت عن طريق لجنتها فى تركستان تحاول عرقلة الاتجاه النامى نحو الثورة الاشتراكية ، واستخدمت كل الوسائل للحيلولة دون بقاء التحالف الذى قام بين الكادحين من القوميات المختلفة والمتعددة وبين الطبقة العاملة والفلاحين الروس .

وفى ٢٧ اكتوبر ١٩١٧ وصل الى آسيا الوسطى نبأ انتصار الانتفاضة المسلحة فى « بتروجراد » التى يطلق عليها الآن اسم لينينجراد . وفى اليوم التالى ثار عمال وجنود « طشقند » على مضطهديهم ، وبعد خمسة أيام من المعارك الطاحنة تمكنت الجماهير العاملة فى تركستان بمعاونة من الطبقة العاملة الروسية وباشتراكها الفعال من الاطاحة بسلطة المستغلين المستبدين ، واصبحت السلطة فى يد قوى الثورة الوليدة .

فى نوفمبر ١٩١٨ أعلن المؤتمر الثالث لمجالس تركستان قيام السلطة السوفيتية فى جميع انحاء البلاد وحدد الحكم مجلس لمفوضى الشعب .

وقد اشتركت القوميات المتعددة وبشكل مباشر فى تأسيس الأجهزة السوفيتية بالمدن والقرى .

وفى ١٩١٨ تأسست جمهورية تركستان الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى ، ضمن جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية .

وفى ١٩٢٠ نجحت الثورات الشعبية فى الاطاحة بأمير « بخارى » وخان « خيوا » .

وفى ١٩٢٣ تأسست جمهورية خوارزم الشعبية السوفييتية .

وفى ١٩٢٤ تأسست جمهورية بخارى الشعبية السوفييتية .

وبهذا أصبحت فى آسيا الوسطى ثلاث جمهوريات اشتراكية سوفييتية .

وكان سكان تركستان يتألفون مـن الأوزبيك والكـازاخ والطاجيك والتركمان والقوغيز . كما كانت بخارى تضم الأوزبيك والطاجيك والتركمان والقاراقالباق . فكأن القومية الواحدة مشطورة الى شطرين يفصل بينهما حدود افتعلها فى الماضى حكم القياصرة المستبد . ولهذا ظهرت الحاجة الى تعديل هذه الحدود على أسس اثنوغرافية وعلمية لتجميع الشمل المتناثر لكل قومية قدر الامكان .

ذلك ان احدى الميزات التى اكتسبتها شعوب المستعمرات القيصرية فور انتصار ثورة اكتوبر كانت هى تحررها النهائى من أى سيطرة أجنبية ؛ **فقد اطلقت الثورة الاشتراكية الاولى سراح كل الامم والشعوب التى كانت القيصرية تستعمرها ، سواء فى آسيا او فى أوروبا ، مثـل بولندا . حيث**



اصبح الارتباط بالاتحاد السوفييتى ارتباطا اختياريا لا ارغام فيـه . ومن هنا ظهرت المتطلبات العاجلة لشعوب آسيـا الوسطى التى كـانت غارقة فى

المنازعات فيما بينها وكان لابد من اتخاذ موقف صحيح ودقيق للغاية من حاجات ومتطلبات السكان المحليين ، مع الاخذ فى الاعتبار بكافة خصائصهم القومية وظروف حياتهم ومعيشتهم ، أستنادا الى أن الإهتمام الأكبر بمصالح مختلف الامم هو الذى يزيل أساس المنازعات ، لأنه يستبدل بفقدان الثقة المتبادل بينها التضامن والتعاون لا سيما بين العمال والفلاحين الذين يتحدثون بلغات مختلفة أيضا .

هذا المنهج من التفكير هو الذى بادر « لينين » بطرحه فى حينه واعتباره توجيها سياسيا يجب الالتزام به ، واتبعه بحيثيات منطقية وعملية مجربة فى نفس الوقت :

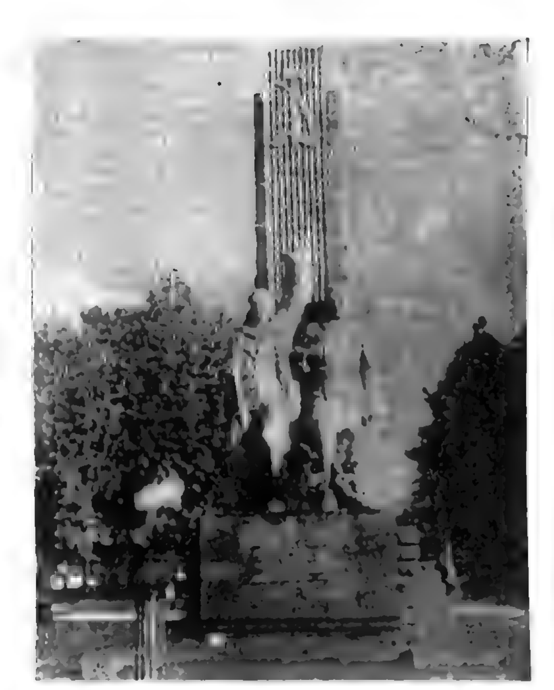
ان هذا التراث المتخلف عن عهود القيصرية لا يمكن ان يتبدد من تلقاء نفسه ، حتى مع توفر الرغبة الشديدة ، فانه لا يمكن القضاء على هذا التراث فى لحظة وبجرة قلم . بل يلزم بذل الكثير من الوقت والصبر والسير على سياسة صحيحة فى المسألة القومية .

وتبعا لهذا ، كانت من المهام الأساسية اعادة تربية الجماهير بروح الأممية بدلا من روح التعصب الأعمى للقوميات الصغيرة والعديدة ، مع التوصل الى المساواة الفعلية بين شعوب البلاد والعمل على استئصال الخلافات القومية وازالة النزاعات وانعدام الثقة . **وقد اعتبرت هذه القضية امتحانا لمقدرة النظام السوفييتى على الانتقال بشعوب المنطقة من حالة التخلف الاقطاعى الى عصر الاشتراكية دون المرور فى المرحلة الراسمالية ، وهذا لا يتم الا باجتذاب الجماهير الواسعة من الشغيلة للمشاركة فى ادارة شئون الدولة .**

ولكن ، هل وصلت الاوضاع الى هذا التطور بغير ثمن ؟

بالطبع لا . فالقوى المعادية للثورة موجودة ولم تترك عملا يمكن أن تؤديه لضرب هذه الثورة الا وقامت به . فقد وجدت هذه القوى المحلية انصارا لها من الخارج ، حيث كانت الامبريالية فى انجلترا وفرنسا وأمريكا تبحث عن نقط الضعف فى هذا البنيان الثورى الوليد لتنفيذ مخططاتها وضرب الثورة فى مركزها .

ومن اجل هذا دفعت القوى المحلية الرجعية لشق الحملات الحربية فى أكثر من مكان فى وقت واحد . ووصل الوضع الى أن هذه القوى اثارت حروبا حقيقية فى الشمال وفى الشرق وفى الجنوب وفى الغرب أيضا ، وقد عرفت بحرب التدخل واستمرت طيلة ثلاث سنوات ، حدث ماحدث فيها من خراب وازهاق للأرواح العديدة ، ودمرت المصانع والمشروعات العمرانية



— النصب التذكاري لشهداء الحرب الأهلية في ميدان عطلة هنقد

التى كانت قائمة ، بل ووصل الامر الى القيام بتسميم الآبار والماشية . هذا على نطاق الاتحاد السوفييتي كله .

اما على الصعيد المحلى بأسيا الوسطى ، فقد تكونت العصابات الرجعية والتى اطلق عليها اسم « الباسماتش » وقامت هذه العصابات بقتل اعضاء الشيوعيين وزعماء العمال وطلائع الفلاحين . وقد اعتمدت في

« طشقند » مجموعة من المفوضين الاوزبكيين بلغ عددهم خمسة عشر مفوضا تم حرقهم في الحال بدون ادنى شفقة أو رحمة .

لكن هذه الحرب الاهلية لم تنته كما كان يرسم الاستعمار والرجعية واندحر في النهاية « الباسماتش » .

وفي ١٩٢٤ كانت الظروف قد تهيأت تماما لتأسيس الجمهوريات القومية السوفييتية .

وفي ٢٧ اكتوبر تأسست جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفييتية .

هذا الموجز التاريخي لم أعرف منه الكثير من قبل ، فقد وصلت الى موسكو اولا ومنها كان على أن أواصل الطيران حتى طشقند في نفس اليوم ، ولهذا لم تكن لدى فسحة كافية من الوقت لأتابع بعض القراءات عن البلاد التي ساراها بعد ساعات . ولعل هذا هو الذى أوجد في نفسي شعورا غير واضح شأن المقدم على مغامرة من نوع خاص ، ونحن في طريقنا داخل مبنى المطار ، وكان نفس الشعور هو الذى ثار في نفسي بعد ان اتخذت مكانى في الطائرة وتركت مقعدى يميل الى الوراء زيادة في الاسترخاء واستعدادا للنوم . وفي تلك الاثناء اخذت ارقب من نافذة الطائرة طوابير المسافرين المتناثرة على ارض المطار وكأنها خيوط تتعرض في اشكال تجريدية بحتة وكل خط منها ينتهى عند سلم احدى الطائرات .

ولكن هذا المنظر لم يغير كثيرا من الشعور القلق الذى لازمنى منذ قليل . ورغم انى لا ادعى لنفسى الشجاعة ــ وبخاصة ازاء الموت ــ فانى كنت واثقا من أن السبب في حالة القلق لا ترتبط بالخوف من الطيران ، فقد سبقت لى هذه التجربة عدة مرات ، واقتنعت بأن لا داعى للخوف من شيء قبل وقوعه ، حتى لا يموت المرء مرات عديدة قبل أن يموت حقا . واخيرا ــ وبعد ان بدأت محركات الطائرة تصدر دويها ــ تبينت لى العلة وعرفت السبب ، وكم كان بسيطا .

يبدو أنى حاولت بدون ارادة ان استجمع ما قرأته عن أوزبكستان ، ولكنى لم اوفق نظرا لحالة الالحاح التى سيطرت على وانا على وشك الانتقال الى ارض جديدة . وقد فتشت داخل ذاكرتى الواعية فلم اعثر الا على بضع اسماء لا تفيد كثيرا مما احتاج .. طشقند .. سمرقند .. بخارى .. خوارزم .. تيمورلنك ، ولا شيء آخر .

انها في شكلها لا تزيد عن كلمات مجردة ، ولكنها في نفس الوقت كانت معروضة في مخيلتى وكأنها مندثرة ومتلفعة بغلالات من الجو الأسطورى .

وما ان وصلت الى هذه النتيجة حتى غلبنى النوم .

وعندما فتحت عينى كانت اشعة الشمس تخترق نوافذ الطائرة ، فاخذنى العجب . ترى هل مضى علينا في الجو اكثر من سبع ساعات ، فقد



« بوريس » مصاحبي القوقازى
فى الرحلة إلى آسيا الوسطى

غادرنا موسكو بعد منتصف الليل بكل تأكيد ، وهل نمت هذا الوقت الطويل نوماً متصلا ؟

وادرت راسى نحو « بوريس » ـ وهو مصاحبى القوقازى فى الرحلة ـ لأسأله عن الوقت الذى نحن فيه ، فابتسم وهو صامت لا يجيب للحظات ، وكأنه قد ادرك ما يدور فى خلدى ، وقال بلغة فصحى ركيكة :

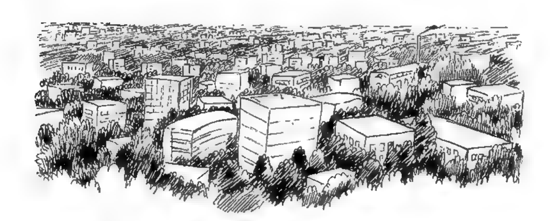
ـ اسمع يأستاذ . نحن نطير نحو الشرق . وهذا معناه اننا نطير فى الاتجاه الذى تأتى منه الشمس ، اى اننا نستعجل الشروق كلما توغلنا فى هذا الاتجاه . ونحن الآن داخل أجواء أوزبيكستان ونقترب من عاصمتها « طشقند » حيث يجب أن نرجع عقارب ساعاتنا الى الوراء ثلاث ساعات كاملة ، هى فرق الوقت بينها وبين توقيت موسكو .

وراجعت هذه العملية الحسابية فى ذهنى ثم انتهيت الى نتيجة ، هى اننا فى هذه الرحلة قد سرقنا من الزمن ثلاث ساعات . وابتسمت لشقاوة هذا الخاطر ورحت اطل من النافذة لأرى الهضاب والصحارى والجبال ومساحات غير منتظمة الأشكال من الخضرة تغطى مساحات كبيرة من سطح الارض . ثم بدات تظهر مساحات مزروعة لها أشكال هندسية أكثر انتظاما . وانطلق المذياع ينقل لنا اعلان المضيفة باقترابنا من هدفنا وتطلب منا ربط الأحزمة استعدادا للهبوط فى مطار « طشقند » ، لم تلبث الطائرة بعد ذلك ان دلفت على ارض المطار ثم توقفت .

وبعد ان فتح باب الطائرة رايت ثلاثة انواع من الملابس القومية القديمة الطراز بالعمائم والقفاطين والسراويل والأحزمة الجلدية والأحذية التى تغطى الساق من الجلد الأسود الطرى . وما كاد المسافرون ينزلون على السلم حتى

تقدموا من أحدهم وارتفعت تحياتهم « السلام عليكم » وتبادلوا الأحضــان ، واستغرقت بضع لحظات فى تأمل ، وكأن المنظر الذى أراه الآن يشعرنى وكأنى لازلت فى مصر لم أغادرها بعد .

وبعد الاجراءات الادارية المتبعة فى المطار ركبنــا بسيارة كــانت أمام أبواب المطار وانطلقت بنا ، ثم لم تلبث أن صعدت طريقا علويا يتفرع الى ثلاثة طرق . وانتهزت هذه الفرصة لالقى نظرة أكثر قربا على الدنيا التى



نحن متجهون اليها ، فشاهدت أمواجا كثيفة من الخضرة كــأنها بلا نهايــة ، ومن بعيد كانت تطل من بينها أطراف مبان واسطح عمارات كأنها غرقى فى هذا البحر من الأشجار .

وعندما دخلت الســيــارة فى شوارع « طشقنــد » لا حظت أن المبانى كلها تبدو كما لو كانت حديثة جدا ، ليس من ناحية الطراز فقط ، ولكنها كانت تبدو وكأن عمال البناء والبياض قد فرغوا لتوهم من تشطيب العمل بها . وأينمــا أدرت بصرى التقى بالخضرة ، حول العمــارات الكبيرة ، وفى أركان الحياة هناك تؤلف الحدائق عنصرا أساسيا ، وحتى شرفات المساكن رأيت النباتات المتسلقة تنسج عليها كالستائر . فالشمس وحرارة الطقس فى هذه المنطقة تفرضان على الناس اللجوء الى الظــل ما أمكن ذلك وطالما توجد مساحة للزرع .

ولقد قطعت السيارة بالفعل عــددا كبيرا مــن الكيلو متــرات داخل شوارع طشقند جعلتنى أعجز عن تحديد مســاحتها ، وأينمــا سرت كانت المبانى والعمارات السكنية ودور المؤسسات تبــدو بنفس الهيئة الناصعة النظيفة المجملة بالزهور والخضرة . ولم أعثر على مبان قديمة الا فى مكانين أو ثلاثة على ما أذكر ، وقد تبين لى أنها بعض مــا بقى قائما بعــد أن هدم الزلزال طشقند سنة ١٩٦٦ .



فنـدق طشقنـد

آخيرا ، وصلنا الى فندق « طشقند » الذى نزلت فيـه مدة اقامتى بالعاصمة ، وهو من المبانى القديمة التى صمدت للكارثة .

وكانت اجراءات حجز الغرف قد استغرقت وقتا أطول من المعتاد ؛ لأنه كان من المتعذر ايجاد غرفة واحـدة لنا نحن الاثنين ، انـا ومصاحبى « بوريس » . فالضغط السياحى على أشده نظرا لكثرة الوفود السياحية من مختلف انحاء العالم ، وكان نصيب الامريكيين كبيرا بينها . لهـذا فقد تركته يباشر مهمته بينما أخذت أتجول فى أرجاء الطابق الأرضى الذى كنا فيه ، لأرى مكاتب عدة للخدمات من بريد وتلغراف وتليفون ، كما وجدت ركنا أقيمت له حواجز يجلس فيها خبير فى اصلاح الساعات . وشد انتباهى القسم المخصص لبيع الهدايا من الانتاج الاوزبيكى . وكانت المعروضات به انواعا جميلة ورائعة الذوق من المنسـوجات الحريرية والطواقى المزركشة بكل الالوان الزاهيـة التى يتخصص فيها الانتـاج القومى باعتبارهـا زيا شعبيا ، الى جانب أدوات الشاى المصنوعة بتصميمات بديعة من الصينى الملون والمزركش . وغير ذلك العديد من الأشياء التى يعتنى السياح بشرائها ، مثل معلقات المفاتيح وحافظات النقود والايقونات والخواتم .. الخ .

وبعد أن رتبنا ملابسنا وحاجياتنا فى دواليب الغرفة واخـذنا حماما دافئا ، تجدد نشاطنا فجأة ، فجلسنا نستعرض البرنامج الـذى سوف نبدأ تنفيذه من الغد . وقد كانت هناك ــ بالطبع ــ خطوط رئيسـية لجدول الرحلة ، ولكن بقى أن نرقبها حسب الامكانيات والظروف ، فهـذه الفترة فترة اجازات ، فضلا عن اهمية ترتيب مواعيدها بتوقيت ملائم .

وكأنمــا تذكر « بوريس » فجأة شيئــا قد فاته ، اذ أنه انتصب من غير تمهيد لذلك واتجه نحو التليفون وبعد كلمات قليلة عاد وهو يقول :

ــ لابد وأن ننتظر المرافق الأوزبيكى ، فأنا لا أعرف هذه اللغة .

وقد عرفت فيما بعد ، أن أوزبيكستان تضم أربــع عشرة قومية لكل منها لغتها الخاصة وأن من بينها سبع لغات تتم الدراســة بها فى آن واحد بالمدارس والمعاهد العليا وبالجامعتين .



• ناريمان حسنوف

كنت فى الغرفة وحيدا عندما سمعت طرقا على الباب وعندما فتح الباب رأيت شابا قصير القامة صغير الجسم يدخل وتسبقــه ابتسامــة مشرقة وهو يمد يده نحوى ويقول :

ــ السلام عليكم .

وسمعت لغة عربية أقرب الى تلك التى نتعامل بهــا فى مصر . لقد كانت لهجته ــ وقد تأكد لى بعدئذ ــ تكاد تكون عامية مصريــة . وكان « بوريس » يتبعه وهو يميل برأسه الى الأمــام كأنــه يستعد للمقاطعــة مع ابتسامة تحمل معنى المكر الطيب ، فقدمه الى ونفس الابتسامة عالقة على شفتيه كأنه نسيها :

ــ ناريمان حسنوف .

وحاولت أن أخفى ابتسامة مفاجئة عندمــا سمعت اسم « ناريمان » يطلق على مذكر . الا أنه ــ أى ناريمان ــ لم يترك لى فرصة ، لأنه قال وقد أخذت ابتســامته تزداد اتساعــا لتشرق من ورائها أسنان ناصعــة البياض :

ـ هذا الاسم كثيرا ماعرضني لمداعبة زملائي عندما كنا نقوم بزيارتنا لعدد من البلاد العربية . ولكن أكثر هذه المداعبات تأثيرا ، كانت عندما خرجنا من جناح الملك السابق « فاروق » بسراى المنتزه بالاسكندرية ، ثم دخلنا جناح الملكة السابقة ، صاح الدليل بأن هذا جناح « ناريمان » . وبدلا من أن ينصرف الجميع الى مشاهدة الجناح ومحتوياته ، تركزت أنظارهم نحوى ، ثم انفجروا فى الضحك . وعندما رجعت الى بيتى ـ هنا فى طشقند ـ وسمعت زوجتى بما حدث ، اخذت هى الأخرى تضحك ، واتضح أنها تضحك لسبب آخر ، هو أن هناك من الشعوب ما يقصر هذه التسمية على الجنس اللطيف . ذلك أن مصدر هذه التسمية من ايران حيث تطلق على الجنسين بدون تخصيص لأحدهما .

وعندما واصل « ناريمان » حديثه عن العادات والتقاليد المشتركة بين اوزبيكستان وايران من جانب ، وبين تركيا من جانب آخر بما فى ذلك اللغة ، ادركت أن ناريمان ليس مجرد مترجم ، وهذا ما اتضح بعد ذلك ، بل هو مستشرق ـ مع انه لم يتجاوز العقد الثالث من عمره ـ وأنه مولع بالمعارف المختلفة عن الشعوب العربية ، كما عرفت أيضا أن حركة الاستشراق متسعة فى جميع بلدان آسيا الوسطى ، وأن السبب فى ذلك يرجع الى أن الدراسة والتعليم فى المنطقة كانا من قبل الثورة يتمان باللغتين العربية والفارسية وحدهما . وهذا يفسر وجود حرف (القاف) فى الحروف الهجائية الأوزبيكية .

كما عرفت عنه أنه امضى ثلاث سنوات فى اليمن وزار مصر عدة مرات وكذلك سوريا ، وأنه الآن مهتم باعداد دراسة علمية سيقدمها للمناقشة والحصول على اجازة علمية عليها وموضوعها عن مناهج التربية والتعليم فى البلاد العربية .

والى جانب هذا فهو أب .

وقد تم الاتفاق فى هذا اللقاء على المقابلات الممكنة ـ نظرا لموسم الاجازات ـ مع عدد من المسئولين فى الحكومة وفى الحزب والمعاهد والنقابات والهيئات الدينية والمزارع الجماعية ، وجميعها تغطى كافة الجوانب المهمة فى اعطاء صورة عن مدى التطور الذى تم انجازه وتحقيقه . وسوف أستعرض هذه اللقاءات ، لا بالترتيب الزمنى الذى تمت فيه ، ولكن تبعا لترتيب آخر يبدأ بالموضوع الأكثر تأثيرا عن باقى الموضوعات ، وهو الموضوع السياسى ونظام الحكم ومميزاته وخصائصه .

مع الرفيق تيشابابيف



تقوم فى الميدان الجديد المسمى ميدان « لينين » ثلاثة مبان . أحد هذه المبانى ــ وهو أقدمها عمرا ــ دخل التاريخ الحديث ، بعد أن عقد فيه مؤتمر السلام بين الهند وباكستان اثر الصدام العسكرى الذى وقع بين الدولتين والذى انتهى الى توقيع معاهدة الصلح بينهما . وهو المؤتمر الذى ما كاد الرئيس الهندى الراحل « شاستـرى » ينتهى من توقيعه ، حتى توفى بأزمة قلبية مفاجئة .

والمبنى الثانى ، وهو شاهق الارتفاع ويصل الى ٢٢ طابقا ، فهو المقر الجديد لمجلس الوزراء الأوزبيكى وهو من الطراز المعمارى الحديث جدا .

والمبنى الثالث ــ وهو أول بند فى برنامج اللقاءات مع المسئولين ــ وهو أيضا من الطراز المعمارى الحديث ، هو مقر المجلس الأعلى للجمهورية .

وعلى المدخل الزجاجى استقبلنا الضابط المكلف بالحراسة ، واشار لنا الى المصعد المؤدى الى حيث موعدنا وكذلك رقم باب الغرفة .

وبعد أن تم التعارف بيننا وبين المسئول وزميله ، جلسنا أمام مائدة اجتماع صفت عليها أوانى الفاكهة والحلوى وبعض زجاجات المياه المعدنية وعلب السجائر . وتأملت مضيفى الطويل القامة بغير اسراف بوجهه المفرود الأسمر الذى تغلب عليه الملامح الآسيوية وأنفه العربى وفكيه البارزين .

وتكفى بضع نظرات نحوه لكى يدرك المرء ثقل المسئولية التى يحملها على كاهله هذا المسئول ــ بل ــ ويستطيع المرء أن يقرأ على ملامحه بكل

الوضوح ، كم كانت طويلة تلك المسيرة التي قطعتها « أوزبيكستان » لكى تنتقل من حالة التخلف الى الوضع المنتعش المزدهر الآن .

وقد وجهت أسئلتى اليه قصيرة ومحددة حول شكل النظام القائم ومشكلاته .

وقد أفاض فى اجابته بما يغطى المساحة المطلوبة داعما أقواله بعديد من الاصطلاحات والبيانات مرتبة وفق المراحل المتتالية مع عرض مشكلات كل مرحلة فى حينها . وقد رأيت أن أعيد عرض حديثه بترتيب يناسب اضافة المعلومات المكملة لأجزاء الموضوع والتى أستقيتها من مصادر واطلاعات أخرى حصلت عليها فى نفس الرحلة ، وبخاصة ما يتصل منها بالحقائق عن الوضع ابان الحكم القيصرى الاستعمارى .



• مستعمرة قيصرية

ان الحالية مستعمرة خلال الحكم القيصرى بكل ما
متعمره) من بشاعة وقسوة ، الى الحد الذى كادت تعتبر أثناءه
ـ منزويا فى جانب الدنيا بعيدا عن اشعاعات النهضة الصناعية
والعلمية التى بدأت تفيض بالنور والتقدم على رقعة أوروبا الغربية كلها .
ولم يكن اهتمام القيصر ومن يمثل السلطة فى آسيا الوسطى ـ وهم أغنياء المنطقة وموظفو الحكومة الكبار ـ سوى وضع اليد على خيرات البلاد بصورة منتظمة وبجشع متزايد دون أن يتركوا للجماهير المرهقة الا ما يكفى لسد الحاجة ، دون أدنى تفكير فى تطوير الأوضاع لتحسين الانتاج ذاته ، لقد كان هذا النظام قائما على أساس أن يأخذ ولا يعطى . ولم يترکز اهتمام القيصرية الا بدعم أجهزة القمع من بوليس وجيش ، كما لم يكن لها من سياسة غير البطش بحريات الناس فليس للشعب أى حقوق على الاطلاق . هكذا كان الوضع فى أوزبيكستان أيام كانت جزءا من تركستان تحت السيطرة القيصرية المستبدة .

اما اليوم ، فهى شىء آخر تماما .

فاليوم وبقوة حكم الدستور تغيرت السلطة تغيرا جذريا . ولكى ندرك فى يد من تكون السلطة الحاكمة بالفعل ، فلنستعرض كيفية بنائها من القاعدة الى القمة .

ونبدأ بادنى المستويات ، وهى اللجان المحلية ، وتقوم فى المزارع الجماعية (الكولخوزات والسوفخوزات) وفى المصانع والمعامل والنقابات والمؤسسات العلمية والثقافية والتجارية .. الى آخر ذلك . هذه اللجان تنتخب بطريقة الاقتراع السرى لكل مواطن وصل سنه الى الثامنة عشرة ، كما ان له حق الترشيح لها . ولا يمنع من هذا الحق ـ الانتخاب والترشيح ـ اى اختلاف فى الجنس أو القومية أو العقيدة الدينية أو المستوى الاجتماعى والثقافى . وانما يحرم منه فقط المجانين والمجرمون .

ويطبق فى أوزبيكستان قانون يعطى حق الانتخاب لأى مواطن سوفييتى من الجمهوريات الأربع عشرة الاخرى فى الاتحاد السوفييتى بشرط تواجده داخل أوزبيكستان يوم الانتخاب ولو كان هذا التواجد بحكم الصدفة أو كان عابرا غير مقيم . ويدل هذا النص القانونى على مدى الترابط القائم بين جمهورية أوزبيكستان وبين الاتحاد السوفييتى الأم ، كما يعبر عن الشعور بالوفاء وعرفان الجميل للمساعدات الاخوية التى قدمت اليها من سائر الجمهوريات الاخرى منذ قيام الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ حتى أمكنها أن تقف على قدميها . لهذا ، فان عملية الانتخاب تعبر بأقصى درجات الصدق عن ارادة الجماهير الواسعة ، وباعتبار هذا الانتخاب تكليفا أكثر منه تكريما . فالصفة النيابية ليست وظيفة فى حد ذاتها أو احترافا ولا تبيح للنائب ان يترك عمله الأساسى الذى تخصص فيه ضمن واجبات فروع الانتاج الاقتصادى أو الصناعى أو الزراعى أو غيرها . بل أن هذا الانتخاب يفرض على النائب مزيدا من الحرص على مواصلة الاجتهاد للتفوق فى تخصصه كشرط للاحتفاظ بصفته النيابية .

ونتيجة مباشرة لهذه الوضع فان كل نائب ـ من خلال وضعه العلمى ـ يستمد القدرة على اصدار الاحكام الواقعية من القرارات المطروحة للنقاش ، لانه كجزء من قوى الانتاج أقدر على ادراك المطالب الحيوية التى يحتاجها الوسط المنتج الذى يعمل فيه .

ثم ان كل نائب ملزم بتقديم كشف حساب الى ناخبيه عن تقدم عمله فى اللجنة المحلية بواقع مرتين كل سنة على الأقل ليطمئن الناخبون على سير الحياة . وفى هذا دليل على مشاركة الناخبين الفعلية التى من خلالها يتابعون حركة النظام .

ومن حق جماهير الناخيبين ان يسحبوا التفويض من نائبهم ، ولكن بضوابط تكفل عدم استخدام هذا الحق بطريقة ظالمة أو مخربة أو معطلة لسير العمل وتطوره . وتبدأ هذه الاجراءات بعقد مؤتمر خاص يضم الناخبين ثم يطرح موضوع وسبب المطالبة بسحب التفويض . واذا كان النائب المطلوب سحب التفويض منه فى مستوى اعلى كأن يمثل دائرة كبيرة ـ منطقة مثلا ـ فانه تتم عقد عدة اجتماعات فى أماكن متفرقة ومتعددة بحسب حجم ومستوى

العضوية ، وذلك فى زمن واحد . وهذا المؤتمر تتم الدعوة له حسب جدول كل مستوى فى الكولخوز أو المصنع أو الحى ، ولكل مواعيد ثابتة ومنتظمة للاجتماعات . ثم ترسل نسخة من القرار الى النائب المعنى ونسخة أخرى الى مجلس السوفييت الذى يحول القرار الى لجنة شئون الاعضاء بالمستوى واللجنة التابعين لهما النائب المقصود . وهـذه اللجنـة تجتمـع لتراجع الخطوات التى اتبعت فى صدور القرار من ناحية مطابقته للقواعد القانونية الثابتة والسائدة . وبعد ذلك تقرر موعد تنفيـذه وتؤلف لهـذا لجنة من نفس المنطقة .

ومع هذا فللنائب المقصود ، الحق فى الدفـاع عن نفسـه أمام لجنة شئون الأعضاء ، وعلى صفحـات الجرائـد والمجلات ، ثم بعـد ذلك ، يتم بطريقة علنية اصدار القرار الأخير ، باتبـاع رأى الأغلبية المطلقـة (نصف الاعضاء زائد عضو واحد على الأقل) .

ثم يحدد المجلس المحلى موعد انتخاب البديل .

هذا هو المستوى القاعـدى . ثم تتـدرج المستويـات الى المستوى الأعلى ، وهو اللجنة العليا لعموم الجمهورية ، مرورا بلجان الأحياء والقرى والمدن ، ثم المناطق ثم المحافظات .

والمجلس الاعلى يتم انتخابه بالطريق المباشر ، بواقع نائب لكل ٢٥ الفا من السكان . وقد انتخب آخر مجلس اعلى — وهو الحالى — فى يونيه ١٩٧١ وتستمر مدته اربع سنوات . ويتألف من ٤٥٠ نائبا من بينهم ٥١ امراة . كما أن من بين كل ثلاث نواب شابا (يقل عمره من ٣٠ سنة) وحق الانتخاب لهذا المجلس لكل من وصل الثامنة عشرة من العمر . أما حق الترشيح فيلزم أن يكون سن المرشح لا يقل عن الواحد وعشرين عاما ، نظرا لضرورة توافر الحد الأدنى من التجربة والخبرة فى وضع القوانين ومتطلبات التخطيط . وهذا المجلس يقدم تقريره مرة واحدة فى السنة متضمنا المنجـزات والبرامج الفعلية . ويعقد دورتين كل سنة ، حيث يتم عرض كافة الموضوعات واتخاذ القرارات بشأنها . أما الأمور التى تظهـر بين هـذه الـدورات ، فيتولى البت فيها رئاسة المجلس الاعلى والتى تقدم فى اول دورة انعقـاد للمجلس ما اتخذ بشأنها لابداء الراى وتأكيد القرار أو تعديله . وكل دورة للمجلس يكون لها رئيس ونائبان وسكرتيران للرئاسة وثلاثة عشر عضو رئاسة ، وهو ما يعرف باسم « مجلس الرئاسة » ويجتمع مرة كل شهر على الاقل .

وفى دورات الرئاسة ، يبدا بانتخاب اللجان الدائمة النوعية كالصناعـة والزراعية . وهى ١٦ لجنـة تضم ٣٠٤ من النواب ، وهى تـراقب وتتابع تنفيذ قرارات المجلس الأعلى وتطلع على تقارير الوزراء وادارات المؤسسات حول سير العمل بها . كما تقدم التوصيات التى تراها ، وتتولى تقرير حصر المواضيع المقترحة للمناقشة فى جدول أعمال الدورات القادمة للمجلس .

وفى أول دورة للمجلس الأعلى ، يتم تكوين الحكومة الجديدة ، بانتخاب رئيس للوزراء الذى يتقدم باقتراح أسماء الوزراء الذين يرشحهم ، وبعد مناقشة المجلس لاقتراحه يتم اتخاذ القرار بالموافقة أو بالتعديل أو بالرفض . ورئيس الوزراء هو المسئول التنفيذى والمسئول أيضا عن توزيع القرارات اثناء سير عمليات التنفيذ ، وله الحق فى تصويب وتحسين أى قرار فى اتجاه القانون . والمجلس الأعلى هو صاحب الحق فى تكوين المحكمة العليا .

واذا تأملنا التكوين الاجمالى للجان المحلية نجد انها تضم ٨٦٤٤١ نائبا نصفهم من النساء ، وان نسبة النواب غير الأعضاء بالحزب الشيوعى ٥٤ ٪ وان نسبة العمال الصناعيين والكولخوزيين ٦٨ ٪ ويسود بينهم الاحترام والتقدير الكاملان للعمال البارزين والقادة المعروفين والموظفين المجتهدين .

وتكتمل الصورة بالتعرف على حقوق النائب .

فبالاضافة الى حقه فى استخدام كافة المواصلات فى منطقته بالمجان ، فان له الحق فى الدخول الى أى مؤسسة رسمية بدون اعتراض من أى أحد ، وله ان يطرح امام الادارات المرتبطة بالعمل فى منطقته كافة الموضوعات التى يرى مناقشتها لتحقيق مصالح جماهيرية أو عامة . وعلى أى موظف كبير ان يستقبله فى أى وقت يحضر ، كما يتحتم على المسئولين الاداريين العمل على حل المسائل المطروحة فى اقرب وقت ممكن . كما ان فى حدود اختصاص النائب ان يشترك فى حل المسائل التى طرحها ، كما أن له الحق فى أخذ أى معلومات ترتبط بدائرة اختصاص المجلس المحلى من وثائق وبيانات ، ولذلك ، فان هؤلاء النواب ينشطون فى حل مشكلات تظهر فور ظهورها .

من هنا يحق للمرء أن يقتنع بأن السلطة صادرة من الشعب وأن الشعب لديه كل الفرص للمشاركة فى تقرير مصيره ، وذلك فى زمن قصير لا يتجاوز نصف القرن بعد أن كان فى هاوية التخلف . **هذه هى صورة من ملامح المعجزة .**

وما كاد الحديث ينتهى ، حتى بدأت روح الضيافة تفرض علينا بعضا من التقاليد السائدة ، وبدأ الحديث يتشعب الى جوانب متعددة ، حتى خطر ببالى ان اتعرف على رأى مرافقى فى الظاهرة التى تلازم وسائل الدعاية الامبريالية بتناولها لوضع الدين فى الاتحاد السوفييتى بين حين وآخر . وقد اثار هذا الخاطر عندى ما قرأته فى احدى الصحف العربية اثناء انتظارى فى مطار بيروت وأنا فى طريقى الى موسكو — فى صيغة الخبر عن تعرض بعض المسئولين فى احدى الجمهوريات السوفييتية للمؤاخذة بدعوى تهاونهم وسماحهم بازدياد عدد المواطنين السوفييت الذين اعتنقوا الاسلام اخيرا . وبمجرد ان عبرت عما يجول فى خاطرى ، وبدأ « ناريمان » فى الترجمة حتى غمرنى احساس بأنى قد تسرعت بعض الشىء ، وتوهمت أن

سؤالي هذا قد يسبب بعضا من الاحراج ، الا انه لم يكن هناك سبيل لتدارك الامر . فالكلمة مثل طلقة المدفع أحيانا ، ما تكاد تغادر الفوهة حتى يصبح من المستحيل ايقافها واعادتها وما كان امامي سوى الانتظار . فانتظرت .

وكان الرفيق قد انتهى من ارتشاف القطرات الباقية في كوب المياه المعدنية ، فوضعه امامه برفق ثم التفت نحوي وهو ينشر على كل ملامح وجهه ابتسامة مطمئنة ، ونطق عددا من الجمل القصيرة ، وكان يتوقف بعد كل جملة ليتمكن « ناريمان » من الترجمة على مهل ، بعد أن بدا عليه بعض الاجهاد للسرعة التي كان الحديث يدور بها من قبل . ونظرا الى أن هذا الموضوع ذاته قد جرى طرقه في أكثر من مناسبة بالاضافة الى ما حصلت عليه من اطلاعات اخرى ، فاني أجمل مضمون الرأي بالجمع بين كل ما يأتي :

أن السلطة السوفييتية لا شأن لها على الاطلاق بالاعتقاد الديني .. أي اعتقاد ديني ، ولأي شخص الحق في اعتناق ما يشاء من المعتقدات ، كما أن له الحق في الا يعتنق . ولكن هكذا دأبت (العبقريات) التي تخطط للدعاية الامبريالية ــ ليس الآن فحسب ــ بل ومنذ الثورة الاشتراكية ، أي منذ عام ١٩١٧ ، وكأنها لم يعد أمامها ما يمكن الحديث عنه في حملاتها ضد النظام الاشتراكي السوفييتي سوى هذا النوع الرخيص من التضليل للرأي العام العالمي . ولكن هذه (العبقريات) قد أظهرت قدرا من الغباء لا يمكن لأحد اخفاؤه . فالأيام تمر ، ومع الزمن كان لا بد وأن تفتضح هذه الدعايات المسمومة ، وينكشف أن الهدف من ورائها لا يتجاوز العمل على تشكيك جماهير الشعوب ذات العقائد المختلفة في موقف النظام الاشتراكي السوفييتي من حرية العقيدة . وفي نفس الوقت تؤدي هذه الحملات دور قنابل الدخان التي تخفي بها الجيوش تحركاتها . ودليل الغباء الذي تتمتع به هذه (العبقريات) يثبت يوما بعد يوم ، سواء من المواقف الفعلية التي يتخذها الاتحاد السوفييتي على نطاق العالم كله ، أو بما يلمسه كل من اتيحت له فرصة زيارة المجتمع السوفييتي والمعاينة الذاتية والتأكد من ان الدولة السوفييتية لا تتدخل في حرية العقيدة أيا كانت . والعجيب حقا أن النظم الامبريالية تتورط يوما بعد يوم بالافعال ــ لا بالاقوال ــ وينكشف أنها لا تقيم اعتبارا لأي عقيدة أو جنس أو قومية بقدر ما تقيم اعتبارها واهتمامها بكل حرص على مصالحها الاستغلالية على حساب كافة الشعوب بما فيها شعوبها هي . وهذا كله لم يعد سرا اليوم . فليس في الدنيا من لم يسمع عن دورها في الابقاء على سياسة التفرقة والتمييز العنصري ، وشواهد ذلك في افريقيا بل وفي امريكا ذاتها . ويكفي أن نتأمل دور الامبريالية في خلق وتأزيم مشكلة الشرق الاوسط هنا تتعرى هذه السياسة تماما حتى ورقة التين

التى قد تخفى عورتها . انها قضية خاسرة حتما ، اذا ما قارنا بين الأقوال والأفعال .

ومما يؤكد سوء نية هـذه الدعاية ، انهـا تتجاهـل تجـاهلا تاما كل الانجازات الضخمة التى أمكن للسلطة الاشتراكيـة السوفييتية أن تحققها على أرض أوزبيكستـان . ويكفى أن نضرب مثلا واحـدا مـن الامثلـة التى سمعتها .

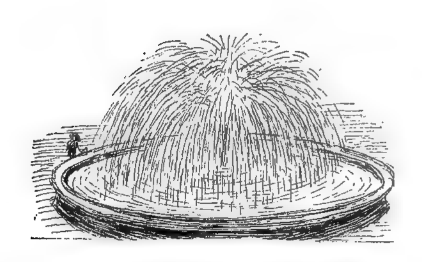
فى بداية القرن الحالى ، قال الخبراء الغربيون ان محو الأمية يحتاج الى أربع وستمائة سنـة كاملـة . وجـاءت الايـام بالثورة وباعلان الجمهوريـة الاشتراكية الأوزبيكية فى ١٩٢٤ ، ولم تأت سنة ١٩٤٠ حتى كانت الأمية قد امحت من كل الجمهورية نهائيا .

وعندما وقفنا نتصافح مودعين قال الرفيق :

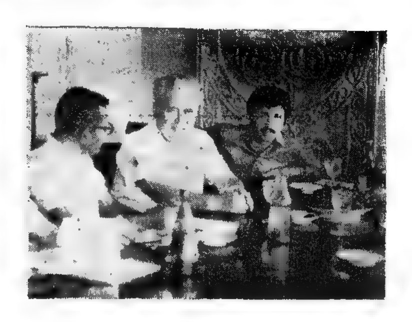
ان ترى مرة خير من أن تسمع مائة مرة .

وغادرت المبنى وأنا مشدود لما سمعته عن مكافحة الأمية هنا ، وحتى أجد راحة البال طلبت من « بوريس وناريمان » أن يدخلا تعديلا على البرنامج بلقاء مسئول التربية والتعليم فى أقرب فرصة . وما رجعنا الى الفندق حتى جلس الاثنان وكانهما فى مباراة شطرنج حاميـة ودارت مناقشـات وتعددت بينهما الاشـارات وهمـا فى نفس الوقت يطالعـان بعض الأوراق التى فيها البرنامج ، وسواء كان الوقت الذى بذلاه فى ذلك طويلا أو قصيرا ، فانى كنت قد تركتهما وخرجت لبعض الوقت ، وعندمـا رجعت وجـدت « ناريمان » يتحدث بالتليفون . وبعد أن انتهى من حديثه قـال وكانه القائـد الفاتح الظافر :

ـ باكر . . فى الثانية عشرة ونصف ظهرا ، فى مبنى الوزارة .



مع الرفيق
مؤمنوف إبراهيم



بعد أن وصلنا الى ميدان لينين وكنا مبكرين عن موعدنا ثلاثين دقيقة ، كان علينا أن ننفقها في التنزه فاقتربنا من النافورة العجيبة المقامة حديثا على امتداد يزيد عن المائة متـر . وهى مصممـة على خط مستقيم تنتظم عليه عشرات من فوهات المياه التى تندفع الى أعلى بقوة تدفعهـا لحوالى عشرة أمتار وهى فى مجموعها تنسج من الماء حصيرة رائعة المنظر ، وتتساقط مياهها فى حوض كبير أمامها . وهذه النافورة التى تستحق لقب « جدار الماء » على حافة مصطبة من الأرض بالمنسوب الـذى انشىء عليـه الميدان بمبانيه الثلاثة .

واذا اراد أحد من الناس أن يحصل على صورة فوتوغـرافية تذكارية له امام هذا المنظر ، فانه يجد واحدا من المصورين يتخذ مكانه تحت ظـل شجرة فى مكان قريب من النافورة . ويظهر أن هذا المصور يمتلك نسناسا صغيرا ، لأنه ظل يحاول انزال النسناس من فوق الأغصـان ، ولكنـه لم يستمع لنداءات صاحبه ، بينما تجمع عدد من الناس — يرقبون ما يدور بفرح واستمتاع ، وبخاصة عندما تحول الموقف الى مطـاردة وجرى على المسافة من النافورة الى آخرها ، وفيها حدثت مراوغات مثيرة للضحك

كان النسناس يجيد تنفيذهـا ، حتى تعـاون الناس على محاصرته ، فاستسلم أخيرا فى حضن المصور الذى عاد به الى مكانه . وقد استغرقت هذه العملية وقتا كافيا وبعدها اتجهنا على الفور الى مدخل بناية الوزارة ، فوجدنا عشرات الموظفات والموظفين يخرجون جماعات من باب المبنى ، وهم يتحدثون عن زلزال وقع من لحظات واستمر خمس دقائق وانه كان مؤثرا فى الأدوار العليا حيث كانت الحجرات تتأرجح بشدة مما أصاب الناس بالذعر فنزلوا مهرولين . ورأيت نـاريمان يتحمس فى الادلاء باستنتاج يستحق الاعتبار ، اذ قال :

ـ لا بد أن النسناس شعر بالزلزال ـ كمـا هو معـروف عن بعض الحيوانات ـ لهذا كان يهرب من صاحبه .

وتقدم منا شاب ، عـرفنا أنه موفـد لاستقبالنا ، حيث صعدنـا معه الدرج الى الدور الثالث ، حيث موعدنا المقرر مـع نائب وزيـر المعارف . وكان الرفيق « مؤمنوف ابراهيم » أراد أن ننتقل من تأثير حادث الزلزال بأسرع ما يمكن ، فذكر لنا أن هذا المبنى تم تشييده على أسس وتصميمات مدروسة ومجربة بنجاح بحيث تقاوم الزلازل . فهو عبارة عن هيكل واحد من الحديد المترابط هندسيا بما يكسبه قدرا كافيا من المرونة والتماسك يمنعانه من الانهيار والسقوط .



على حافة النافورة الضخمة فى ميدان لينين قبيل الذهاب إلى لقاء نائب وزير المعارف

وطرحت السؤال الذى كنت فى شوق الى معرفة الاجابة عليه حول كيفية القضاء على الامية ؟

لقد استفدنا من التجربة السابقة ، بتنظيم سرعة الحديث والترجمة بما يسمح لى بتدوين الأرقام والاحصاءات فى الوقت الذى يكون فيه ناريمان يستمع الى الفقرة التالية من الحديث . ورغم أن هذه العملية تمت بقدر كاف من التمهل ، الا انى وجدت المحصلة الأخيرة تحتوى على مديد من البيانات والارقام والتواريخ الى الحد الذى اخشى معه أن تصبح مربكة عسيرة الهضم . لهذا ، رايت أن اعيد ترتيب صياغتها من جديد ، بما يسمح لى باضافة المعلومات الأخرى التى عرفتها من مصادر مختلفة حتى يكون العرض وافيا ، وبخاصة أن هذه التجربة الناجحة فى القضاء على الأمية بجمهورية أوزبيكستان تعتبر مثالا رائعا ورائدا فى هذا المجال وهو ما يمكن أن يصبح معينا تستفيد منه شعوب اخرى فى القضاء على الامية عندها .

وايضا لنبدأ من الماضى .

• سرقة الأعمى

على الرغم من أن تاريخ الشعب الأوزبيكى كغيره من شعوب آسيا الوسطى يحمل عراقة ثبتت فى التاريخ ، فقد شاءت الظروف أن يتوقف تطوره ويتعطل أجيالا طويلة متوالية . ويكفى أن نستعرض بعض اسماء الذين ظهرت عبقرياتهم العلمية والفكرية وساهموا فى التقدم الانسانى ، وما زالوا يحظون حتى الآن بتقدير العلم فى أرجاء العالم .

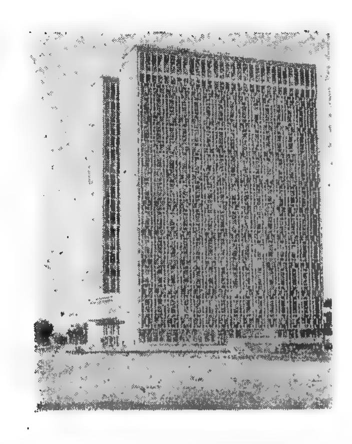
ففى القرن التاسع الميلادى ظهر واحد من اعلام الفلك والرياضة العظام ، هو « الفرغانى » .

وفى القرن العاشر ظهر (محمد الفارابى) العالم الموسوعى الذى اضاف الكثير والغزير الى المعرفة والثقافة والحضارة الانسانية .

وفى القرن الحادى عشر ظهر العالم الكبير « محمد احمد الخوارزمى » والذى يعرف باسم « أبوريحان البيرونى » الذى اضاف الى تراث الانسانية اكثر من مائة مؤلف فى نواحى المعرفة من الفلك والرياضيات وعلم المعادن والجغرافيا والتاريخ والادب .

وفى نفس القرن ظهر « ابن سينا » المولود فى بخارى ، والذى بدت عليه سعة الاطلاع والمعرفة وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ـ وبخاصة فى ميدان الطب الذي شارك فى التراث الانسانى بما ينيف عن مائتى مؤلف .

وفى القرن الخامس عشر ظهر « أوليغبك » الذى تخصص فى الفلك واقام مرصدا نادر المثال فى ذلك الوقت ، كما انشا مدرسة لدراسة الفلك فى « سمرقند » ووضع من المؤلفات الفلكية حصيلة ضخمة من الدراسات المجربة علميا كان لها اثر مباشر فى دفع المعرفة الفلكية نحو مزيد من التقدم . ويكفى انه فى هذا العصر المتقدم توصل الى تحديد طول السنة بالايام المضبوطة



ــ المبنى العجيب (٢٣ طابق) مقر رئاسة الوزراء فى ميدان لينين دليل على الخبرة الهندسية فى مقاومة الزلازل

تماما ولم يختلف الا فيما يقرب من دقيقتين وبضع ثوان وانه فى هذا التحديد كان اسبق من النتيجة الاكثر دقة والتى جاءت بعده بعدة قرون .

وفى نفس القرن ظهر الشاعر الكبير والمفكر الرائد « على شيرنوائى » الذى يعتبر مؤسس الثقافة الأوزبيكية الحديثة .

وقد جاء توقف نمو وتطور الشعب الأوزبيكى منذ فقد استقلاله الوطنى وخضع للسيطرة الاجنبية مرغما ، وكان آخر حظه مع الاستعمار القيصرى الذى سعى لتثبيت سيطرته عن طريق الاخذ بمبدا : (ان سرقة الاعمى أسهل .)

لهذا . ولكى يجعل شعوب المنطقة عميانا ، ولكى يبقيها هكذا عمياء قامت سياسته على حرمان الناس من نور الثقافة والتعليم ، ويكفى أن نلقى نظرة على الميزانية التى وضعتها الحكومة القيصرية فى مستهل هذا القرن لتبرز هذه الحقيقة . فقد كانت حصة التعليم الشعبى ٢ ٪ من الميزانية ، وهو ما يعنى أن الفرد الواحد يخصه ٢٢ كوبيك فى السنة ــ أى عشرة قروش وبضع مليمات مصرية . بينما كانت حصة الجهاز العسكرى والسياسى تمثل اربعة اخماس الميزانية اى ٨٠ ٪ . وحتى عندما وجدت الحكومة القيصرية أنها فى حاجة الى اعداد كوادر للعمل فى جهاز البوليس

وادارات الحكم ، انشأت مدارس لتعليم القراءة والكتابة والحساب ، ليس الا ، وهذا يعادل مستوى أقل من مستوى التعليم الابتدائي . ومنذ ١٨٨٥ الى ١٩٠٩ كان في تركستان ٩٨ مدرسة من هذا النوع يتعلم بها ٣٠٠٠ طفل . فضلا عن ان التعليم كان يتم باللغتين العربية والفارسية ، أما اللغة القومية فلا يعترف بها في برامج التعليم . وعندما بدىء بعد ذلك في ادخال التعليم باللغة القومية ، كان هذا النوع من التعليم قاصرا على ابناء الاعيان المحليين وحدهم دون أبناء الشعب .

وقد نشرت مجلة « فيستنيك »ومعناها (رسول التربيــة) في احد اعدادها عام ١٩٠٦ تقريرا وضعه مجموعة من العلماء والخبراء الغربيين عن الامية في تركستان والتي وصلت نسبة الأميــة فيها الى ٩٨ ٪ مــن تعــداد السكان ، وان التخلص من الأمية يحتاج الى ٤٦ قــرنا من الزمــان . وحتى لا يخطر على ظن أحد أن هذا الكلام نوع من التهــكم ، فلننظر الى أوضــاع اخرى من التعليم في تركستان وقتها ، وهي اوضاع المدارس الدينيــة وهي التي كانت تحصل على القسط الأوفر من الاهتمام في مجال التعليم .

كانت نفقات المدارس الدينية تأتي من الأموال التي يقدمها الأفراد ومن اموال الجمعيات الدينية والهيئات الى جــانب الأموال التي يدفعها أهالي المتعلمين . وقد بلغ عدد هذه المدارس في سنة ١٩١٣ (٧٢٩٠ مدرسة) تضم ٧٣ الف تلميذ . والى جانب هذا ، كانت هناك (مكاتب للتعليم) . ويعتبر المكتب مدرسة مهنية أولية يتعلم الاولاد فيها المبــادىء الاوليــة ويتربون بروح التعاليم الاسلامية . وتعتبر المدرســة بالنســبة للمكتب ، مدرسة ثانوية او عليا ، ويتركــز برنامجهــا على دراســة علوم الــكلام والشريعة الاسلامية . ولم يكن التعليم في هذه المدارس والمكــاتب يجــرى باللغــة الأم (القومية) ولكن بالعربية والفارسية . لهذا كان الأولاد يحفظون غيبــا وعن ظهر قلب بصورة آليــة نصوصــا دينيــة ودعــوات ومؤلفــات بعض الشعراء المتصوفين . أما علوم الحياة والطبيعة وغيرها من سائر المعارف فلم يكن لها وجود في مناهج التعليم بهــذه المــدارس والمــكاتب . كما كــان المتعلمون ــ عادة ــ من أبناء ميسوري الحال .

واكتفي بهذا القدر عن الوضع الذي كان عليــه التعليم في تركستان حتى جاءت الثورة الاشتراكية واعلن قائدها العظيم « لينين » :

(في الماضي كان عقل الانســان كله ، كل عبقريتــه ، لا يبــدع الا لكي تتمتع طائفة بكل نعم التكنيك والثقافة ، ويحرم الآخرين من الاشياء الضروريــة ــ من التنويــر والتطور . والآن تصبح جميــع منجزات التكنيك ، ومكاسب الثقافة ملكا لعامة الشعب ، ومنذ الآن لن يوضع عقل الانســان وعبقريته في خدمة العنف ، في خدمة الاستثمار .)



هكذا بدأ عهد جديد فى حياة الناس هناك ، فلنستعرض ــ بانتباه ــ كيف تمت المعجزة .

فى ١٩١٨ وبمبادرة مباشرة من ممثلى المثقفين الروس ، انشئت دار للمعلمين فى « طشقند » .

وفى ١٩١٩ وقع « لينين » مرسوما بمحو الأمية جاء فيه :

(ان جميع السكان منا بين سن الثامنة الى سن الخمسين ، ملزمون بان يتخلصوا من أميتهم .)

وعلى الفور أعلنت « الحملة الثقافية » فى جميع ارجاء جمهوريات الاتحاد السوفييتى الخمس عشرة . وما كادت سنة ١٩٢٠ تنتهى حتى انشئت فى الاتحاد « السوفييتى » اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحة الأمية وفى نفس الوقت انشئت لجان مماثلة فى كل الجمهوريات الخمس عشرة ومنها تركستان . وتفرعت هذه اللجنة على مستويات متدرجة حتى عمت شرايين البلاد فى المدن والقرى والمصانع والمعامل والورش وكافة المؤسسات الثقافية والنقابات ، واطلق عليها اسم « اللجان الثلاثية » ووضعت أمامها اربع مهام محددة :

١ ــ تزويد مدارس مكافحة الأمية بالمبنى والاضاءة والدفاتر والاقلام والكتب .

٢ ــ اكتشاف وحصر الأميين .
٣ ــ ايجاد المعلمين .
٤ ــ تعريض المتنمين والمحرضين عن التعليم للعقوبات الادارية .

وقد وضعت فى يد هذه « اللجان الثلاثية » حقوق وصلاحيات واسعة بما يجعلها ذات قدرة وفعالية . وكانت المسألة الاكثر الحاحا بين هذه المهام الاربع هى مهمة ايجاد المعلمين . لهذا انشئت فى « طشقند » سنة ١٩٢٠ أول جامعة فى تركستان . وقد بادرت جمهوريات سوفييتية أخرى بمساعداتها الفورية ، فأوفدت عددا كبيرا من الأساتذة والمدرسين من ليننجراد وموسكو وجمعهم قطار خاص الى طشقند . كما جند المدرسين والطلاب بالمؤسسات التعليمية المتخصصة والثانوية والعالية لمكافحة الامية .

وكان لاعضاء ومنظمات الشبيبة والطلاب دور مع العناصر النشطة بالمنظمات النقابية ، مع مستخدمى المؤسسات المتنوعة ومتطوعى الجبهة



الثقافية ــ وقد اطلق على هؤلاء اسم « جنود الثقافة » . كان لهم دور كبير فى الحملة ، وقد وصل حجم جنود الثقافة ما يؤلف نصف معلمى مدارس حملة محو الأمية .

ومن أجل حماية هذه الحملة من التخبط فى متاهات العمل التلقائى ، أستخدم التفكير العلمى فى وضع خطوطها وتوجيهها ، وانشىء لهذا الغرض « المجلس المركزى العلمى المنهجى » من داخل اللجنة الاستثنائية ، لتقديم المساعدة المنهجية الى مدارس مكافحة الامية . وكانت لهذا المجلس فروع على كل المستويات فى مقار الحملة الثقافية فى القواعد وفى اللجان الثلاثية ، وتتحدد مهمة المجلس المنهجى فى :

ا ــ اعداد الخطط والبرامج التعليمية والارشادات المنهجية وتوزيعها .
ب ــ الاشراف على وضع الكتب المدرسية .
جـ ــ عقد مؤتمرات وندوات بكافة المستويات للمعلمين بغرض تبادل الخبرات .

وفى الارياف افتتحت دورات خاصة متتالية مدة كل دورة من شهر الى ثلاثة شهور بغرض تعليم القراءة والكتابة فقط للأشخاص العاملين ، بحيث تجرى الدراسة بعد انتهاء ساعات العمل ، ذلك ثلاث أو أربع

مرات فى الاسبوع ، وهى قد تستغرق أسبوعيا ٤ ساعات . واستخدمت فى هذه الدورات عدة طرق :

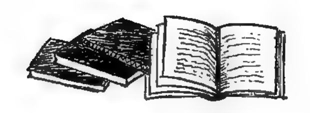
- دراسة فردية ، لشخص واحد ، ويتولى التعليم فيها شخص متعلم .
- دراسة لمجموعة من خمسة او ستة اشخاص ، ويتولى التعليم فيها معلم .
- ودراسة عامة لصف كامل ، ويتولى التعليم معلم عنده المام وتجربة باحدث وسائل التعليم .

ويجب أن نعرف ان التعليم كله يتم بسبع لغات حسب قومية كل طالب وهى الاوزبيكية والقراقلبقية والروسية ، والكازاخية ، والتاجيكية والقرغيزية والتركمانية . كما ان لكل قومية مدارسها وفصولها وكتبها الخاصة .

وقد انشىء اول معهد للمعلمين فى « سمرقند » عام ١٩٢٧ .

ولكى تضاعف الدولة من عدد المعلمين ، فانها فتحت فى المدن والاحياء دورات خاصة لاعداد المعلمين مدة كل دورة بين شهر وثلاثة شهور وخمسة شهور وقبلت فيها المتعلمين الذى كانوا فى نفس الوقت يوسعون معارفهم فى اللغة والحساب والجغرافيا والعلوم الاجتماعية وطرق التعليم وأساليبه الحديثة .

ونتيجة لحملات التعبئة والتوعية باهمية التعجيل بالقضاء على الأمية ، استجاب الشعب عن طريق تجمعاته المختلفة بتقديم العون الى ما تبذله الدولة فى هذه الحملة . فاشتركت المشاريع التعاونية والصناعية ، والمنظمات التجارية ، ولجان فقراء الفلاحين واتحاد شغيلة الزراعة (كوشجى) فى القرى ، وجميع المشاريع والمؤسسات الكبيرة فى المدن ، كلها خصصت جانبا كبيرا من ميزانياتها لمكافحة الامية . كما نظمت فى المعامل والمصانع ورديات عمل اضافية فى أيام السبت ــ وهى أيام عطلة اسبوعية ــ ينتج فيها العامل والمستخدمون ــ متطوعين ــ انتاجا يزيد عن الخطة الموضوعة ويوجه العائد الى صندوق مكافحة الامية . وكذلك خصص الفلاحون المثال ، قدم الفلاحون فى مقاطعة طشقند سنة ١٩٢٩ الى صندوق الحملة (٧٠ الف روبل) والى جانب هذا ، قدمت كافة النقابات والمنظمات الاجتماعية نصيبا كبيرا . ففى العام الدراسى ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ خصص الاتحاد النقابى لشغيلة الزراعة والغابات (١٧٠ ألف روبل) وقدمت تعاونية زراع القطن (١٤٥ الف روبل) والتعاونية الزراعية (٥٩ ألف روبل) وذلك كله الى صندوق الحملة . وفى مجال الثقافة ، نظمت حفلات بالمسارح ودور السينما لدعم الحملة بايراداتها .



• **الكتاب**

وكانت ثانى المشكلات أهمية عدم كفاية الكتب المدرسية . وعندما عرفت البساطة التى عولجت بها هذه المشكلة ، جاء الى ذاكرتى ما حدث « لكريستوفر كولمبس » مكتشف امريكا ، عندما اراد حاسدوه التقليل من شأن اكتشافه ، وذلك خلال الحفل المقام لتكريمه ، فقالوا أنه لم يفعل شيئا معجزا ، لأنه من الممكن لأى شخص أن يترك السفينة تحمله من شاطىء الى الشاطىء المقابل . فقد طلب « كولمبس » أن يحاولوا وضع بيضة دجاجة بحيث تكون واقفة على أحد طرفيها بالطول ، فلما عجزوا عن ذلك ، تناول البيضة ونزع قشرتها ثم وضعها ببساطة على قاعدتها الأوسع فوقفت ، ثم قال ـ ما معناه ـ وهذه ايضا بسيطة ؛ لكن لم يفكر فيها أحدكم .

تذكرت هذه الحادثة الطريفة ، عندما عرفت انهم استعانوا بالصحافة ضمن حملتهم فكانت الصحافة تخصص ابوابا للأميين ولانصاف المتعلمين مع مواد اخرى متنوعة ، وكل هذه المواد تطبع بالحروف الكبيرة حتى يمكن تمييزها عن باقى المواد الصحفية . وقد تخصصت فى هذه الحملة خمس صحف هى :

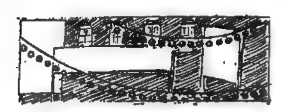
ياش لينينتش وكامبال ديهقان ومدنى انقلاب ومعارف واوتوتوتشى .

وكان المعلمون يجمعون هذه المنشورات بعد فصلها من الجرائد ويستخدمونها بديلا للكتب المدرسية أو تكميلا لها .

ولم يقف دور الصحافة عند هذا الحد فقط ، بل كانت الصحف تنشر تباعا وتحت عناوين « أخبار من الجبهة الثقافية » معلومات مشوقة ومثيرة عن سير الحملة بانجازاتها وبنواقصها فى آن واحد ، مع مقالات وتحقيقات تقدم احسن الأمثلة عن مشاركة الناس بالعطاء فى هذه الحملة ، كما تفضح وتكشف أيضا القوى التى تعادى الجبهة الثقافية من اتباع وانصار النظام القيصرى .

وكان الكتابان الرئيسيان فى الحملة ، هما كتاب « الالفباء » وكتاب « القرية الجديدة » ولكل منهما ابجدية بحروف متفرقة .

وقد وضعت حوافز للدارسين . ففى مدارس القراءة والكتابة ، كان الطلبة يعفون من الساعتين الاخيرتين من يوم العمل دون مساس بأجورهم ، وكانت توزع عليهم الكتب المدرسية ووسائل التدريس بالمجان . أما النساء فكانت لهن الأولوية فى العيادات الخارجية ، وفى الاستشارات لدى الطبيب ، ولاطفالهن الأولوية فى القبول بدور الحضانة ورياض الاطفال . والذين لم يتمكنوا من انهاء الدراسة لسبب ما ، نظمت لهم مدارس أنصاف المتعلمين نظاما للعودة الى استكمال الدروس ، وكانت تضم ١٩٢٠٠٠ شخص نصف متعلم .



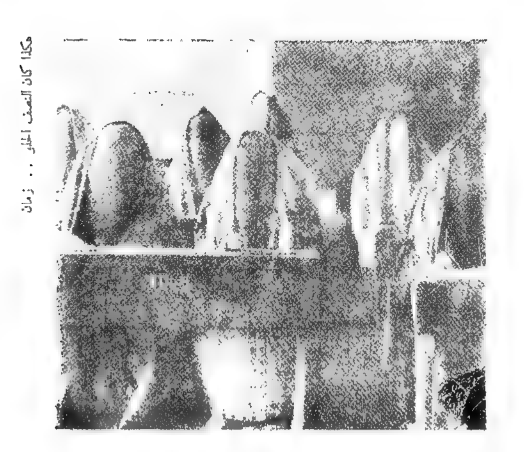
• احتفالات التخرج الشعبية

كانت تقام بعد انتهاء الدراسة فى مدارس محو الامية احتفالات تعقد بصورة علنية فى جو من الزينة على المبانى كما يحدث فى الاعياد . وكانت شعارات الحملة الثقافية تملأ الشوارع فى المدن والقرى ومبانى الأندية والمشروعات المختلفة . اما فى المسارح ودور السينما فكانت قبل رفع الستار وبدء العرض تذاع اخبار قصيرة عن سير الحملة . كما ساعد العاملون فى الفنون بما يلقونه على المسرح مما كان يؤدى الى دعاية واسعة فى سبيل القضاء على الامية . كما نظمت عروض مسرحية بالمسرح الدرامى الأوزبيكى التابع للدولة والمسمى باسم « حمزة » وبمسارح المقاطعات وفى فرق المنوعات ، وفيها تحريض للقضاء على الامية والجهل . وفى المدن والمناطق — الى جانب هذا — جرت اجتماعات ومظاهرات وعقدت مؤتمرات من أجل الحملة الثقافية .

ولكى نضع أمام أعيننا صورة لنمو الحملة الثقافية وما حققته من نجاح ، فلنتأمل قليلا هذه الأرقام :

فى سنة ١٩٢٠ كانت احتياجات الحملة ١٢٠٠ معلم .
وفى سنة ١٩٢٩ كانت احتياجات الحملة ٩٠٠٠ معلم .
وفى سنة ١٩٣١ كانت احتياجات الحملة ١٤٠٠٠ معلم .

وفى نفس السنة ١٩٣١ كانت احتياجات الحملة مع احتياجات المدارس الابتدائية مجتمعة ٢٣٥٠٠ معلم ولا اظننا فى حاجة للتدليل على ما تشير اليه هذه الارقام ، سوى انها تدل على نمو مطرد .



هكذا كان النصف الخلفي .. زمان

وفى سنتى (١٩٢٨ ــ ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ــ ١٩٣١) تخرج من الدورات القصيرة ٢٣٠٠٠ معلم اشتغل ٤٠ ٪ منهم فى حملة محو الأمية .

وفى تعداد المتعلمين والمدارس كان يتعلم القراءة والكتابة (٢١٤٤) شخصا فى ٥٧٤ مدرسة سنة ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ .

وفى سنة ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ كان يتعلم القراءة والكتابة ٣٥٩٨٦٦ شخصا فى ١١٢١٧ مدرسة .

وفى سنة ١٩٣١ ــ ١٩٣٢ كان يتعلم القراءة والكتابة باللغة الاوزبيكية وحدها ٥٠٧٩٤١ شخصا ، وباللغة التاجيكية ٣٣٦٢٩ شخصا وباللغة الكازاخية ١٥٩٨١ شخصاو باللغة القرغيزية ١٥٥٤٣ شخصا وباللغة الأويغورية ٦٥٦١٤ شخصا وباللغة الروسية ١٤٧٢ شخصا وبلغات قومية أخرى ٣٨٦٠٠ شخص .

هكذا مضت عجلة التاريخ تسجل كل يوم انتصارا على التخلف الذى كانت اخطر ظواهره الأمية . ومع الايام أخذت تتطور السرعة والمعدل اللذان تقطعهما هذه الحملة . ففى سنة ١٩٣٠ كان التعليم الالزامى اربع سنوات وفى العام الدراسى ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ اصبح سبع سنوات .

وفى سنة ١٩٢٦ كانت نسبة المتعلمين ١٠ ٪ من التعداد وفى سنة


فصول محو الأمية

١٩٣٢ ارتفعت الى ٥٠ ٪ وما كادت سنة ١٩٤٠ تأتي حتى كانت الحملة قد وصلت الى منتهى غاياتها ومحيت الأمية تماما .

واللآن يوجد فى أوزبيكستان ٩٢٩١ مدرسة يدرس بها ثلاثة ملايين ونصف مليون تلميذ . بالاضافة الى ٣٩ مؤسسة تعليمية عالية يدرس بها ٢٣٣ الفا آخرين . كما يوجد ١٤ معهدا عاليا متخصصا منها ١٦ للتربية والتعليم فقط . وتوجد جامعتان ، وكذلك ٢٨ مدرسة متوسطة متخصصة لتدريب كوادر للتعليم الثانوى والابتدائى ورياض الاطفال . ومجموع المدرسين بالسبع لغات يصل الى ١٨١ الف مدرس . ويصل مجموع الطلبة فى مختلف المدارس والمعاهد والدورات أربعة ملايين فتى وفتاة ، مع العلم بأن تعداد الجمهورية يصل الى ١٢ مليونا . وهذا يعنى أنهم يمثلون ثلث عدد التعداد .

ونظرا الى هذه التجربة الفريدة فى محو الأمية ، فقد عقد المؤتمر الأسيوى الافريقى فى « طشقند » فى نهاية أبريل وبداية مايو من عام ١٩٦٦ لدراسة هذه التجربة الرائدة والتى يمكن الاسترشاد بها فى بلاد اخرى . وهكذا ، فان جمهورية أوزبيكستان الاشتراكية السوفييتية لم تحقق لنفسها غاية نبيلة فقط ، بل انها أيضا ساهمت بهذه التجربة فى خدمة الانسانية جمعاء .

وليس مستغربا بعد ذلك ، أن هذا البلد الذى كان بالامس ــ وقبل خمسين سنة فقط ــ غارقا فى بحور الجهل ، أصبح له اليوم فى رصيد العلماء العالميين الذين تفخر البشرية كلها بهم نسبة مشرفة ، تؤكد أن الامتداد الذى قطعته عهود الاستعمار القيصرى المستبد قد أعيد وصله من جديد . وأن الأرض التى أخرجت الفرغانى والفارابى والبيرونى وابن سينا وأوليغبك وعلى شيرنوائى ، قادرة على الانجاب من جديد .

ففى مجال العلم الحديث قدمت العالم الكيميائى الاكاديمى « عبدصديقوف » والعالم البيوكيميائى البروفيسور « يالكين توأركولوف » وعالم الهيدرولوجيا الاكاديمى « هانى مافلانوف » ، كما أنتخب العالم « صابريونسوف » عضوا بالاكاديمية الالمانية للعلوم الطبيعية ، والعالم « يتشازاهدوف » فى الجمعية الهندية لعلم الحيوان .

وبقيت فى الموضوع نقطتان هامتان .

الاولى ، أن نظام التعليم فى كل الاتحاد السوفييتى موحد فى مناهج المواد العامة والحساب والجبر والكيمياء والفيزياء ، أما التاريخ والجغرافيا وعلم الطبيعة فترتبط بكل جمهورية على حدة .

والثانية ، أن جميع مراحل التعليم فى الاتحاد السوفييتى كله ــ وبالتالى أوزبيكستان ــ بالمجان فعلا .

هكذا تحولت هذه البلاد من حالة الجهل وظلامه لتخرج الى نور المعرفة الملايين من الشعب ، بعد أن جعلت هدفها الأخير هو أن تغرس فى نفوس الجماهير الرغبة الجادة فى التعليم .

وهذه هى صورة أخرى من جوانب المعجزة .





مع الرفيقة رحيمة نزاروه

نائبة وزير الثقافة

أول ما قالته السيدة الرفيقة ، بعد مقدمات اللقاء من استقبال وتعارف ، أنها تشعر بسعادة كبيرة لأنها سوف تتحدث عن تطور الثقافة فى أوزبيكستان . ولهذا دعت للاشتراك فى اللقاء ثلاثة من مسئولى الوزارة ، وهم السادة الرفاق : حبيب رحمانوف ـ مدير قسم المسرح بالوزارة ، وتافور جومايوف ـ نائب مدير ادارة المسرحيات بالوزارة ، وأسكندر ياتشكاريوف ـ عضو مجلس البرامج المسرحية بالوزارة ، وكذلك الأستاذ الشاعر « تراب مترا » ـ مدير الادارة العامة للمؤسسة الموسيقية ، وقدمت لى اسطوانة مسجلا عليها أغنية شعبية وضع هو كلماتها . وكأنما أراد هو أن يزيد من حفاوته بى فكتب اهداء على غلاف الاسطوانة ، ولم يلبث الحوار ان بدأ بعد أن طرحت أسئلتى عن الثقافة ومشكلاتها وما تم بشأنها هناك . وقد تكررت معلومات عدة سبق تحصيلها فى الحديث عن حملة محو الأمية ولهذا رأيت أن أتجاوزها ، وبخاصة ما يتعلق منها بالوضع السيء الذى كانت عليه أحوال جماهير الشعب قبل الثورة .

لقد نشأت الصعوبات عن الظروف السيئة الموروثة ، ولكن سنشير هنا الى الجوانب التى كان علينا ان نخطط ونركز عليها أولا .

فالجماهير كانت فى حالة التخلف تقف خلف حاجز من العزلة النفسية عاشت عليه طويلا حتى اكتسبت قوة العادة شبة الثابتة ، من طول المعاناه والضغط ، بالاضافة الى انتشار كثير من الخرافات والغيبيات الضارة ، ووصل هبوط الفكر الى ادنى الدرجات .

وقد واجهت الثورة هذه الحالة بأن وضعت برامجها بحيث تؤدى الى تحرير النفس الانسانية أولا حتى تتهيأ لاستقبال العلاقات الاجتماعية الجديدة استقبالا ايجابيا مناسبا . ويجب أن نذكر ، أن هذه الصعوبات كان مصدرها الانتقال المفاجىء الذى جاءت به الثورة . وقد كان للفن وقوة تأثيره دور مباشر فى تربية الجماهير بفعالية كبيرة ، وذلك أكد ما قاله الكاتب الاشتراكى الأول فى الاتحاد السوفييتى « مكسيم جوركى » :
(أن الكاتب لابد أن يكون له موقف ــ مع أوضد ــ اى أن يكون ايجابيا .)

لهذا قامت سياسة الحزب الشيوعى والحكومة فى اوزبيكستان ، على أساس توجيه الوعى الى كل فرد ، على أنه صاحب البلد . وقد انعكس هذا فى الدرامات والروايات التى ظهرت بعد الثورة .

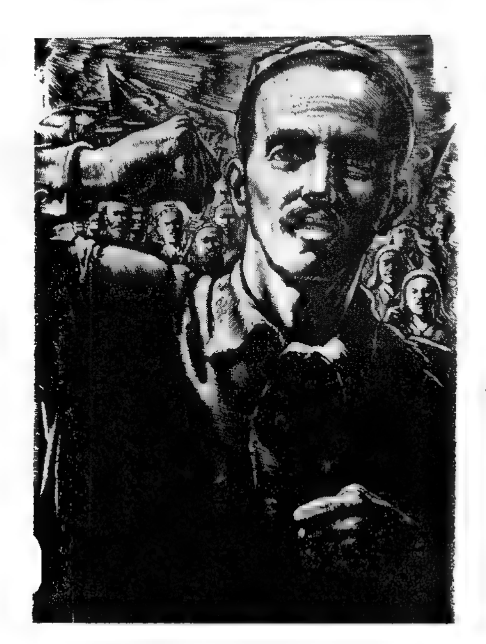
وفى الأدب ، فان تطويره من الحكاية الى الرواية (الرومانسى) تم بطريقة مباشرة بدون المرور بمرحلة القصص القصيرة كما هو مألوف . وقد تم ذلك على يد « عبد الله قادرى » من سنة ١٩٢٥ ؛ وله مؤلفات هامة عديدة منها « الايام الماضية » و « أقرب من المحراب » .

وقد تم تأسيس أول معهد للثقافة بغرض اعداد المتخصصين للمؤسسات الثقافية والفنية ، ولتدريب ذوى المواهب من الهواة العاملين بالمصانع والكولخوزات وطلبة المعاهد الأخرى . وخصص قسم لتخرج راقصات الباليه الكلاسيكى ، وقسم آخر لتخرج راقصات الرقص الشعبى الأوزبيكى .

وأنشئت مدرسة للفنون التشكيلية ، كما يوجد اتحاد لجمعيات الفرق الموسيقية الكونسيرية ، وعدد من الفرق الموسيقية السيمفونية ، وايضا فرقة كورال . ومنذ وقت قريب جدا تكونت فرقة موزيكهول باسم « يالله » وفرقة « سينس » للشباب الموسيقى .

ويقوم التعاون الأخوى بين جمهوريات الاتحاد السوفييتى منذ الثورة ، وهذا التعاون كان له دور فى التأثير على الادب الاوزبيكى الى جانب تأثير الادب العالمى عليه ايضا . والآن تنشط المسارح هناك لاخراج العديد من المسرحيات العالمية السوفييتية .

وقد وصل المستوى الثقافى الى درجة رفيعة واكتسب صفة العالمية بفضل جهود الفنانين الأوزبيكيين ، مثل « مختار أشرفى » الحائز على جائزة جواهر لال نهرو عن باليه « تعويذة الحب » وكذلك جائزة جمال عبد الناصر عن باليه « الصمود » كما انه حضر الى مصر فى عام ١٩٦٦ على رأس فرقة



الكاتب الأوزبكي الكبير « حمزة حكيم زادة نيازي » — حفر على الخشب

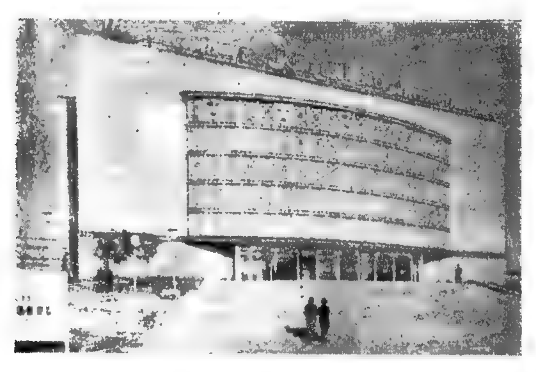
من فنانى مسرح « على شيرنوائى » وقاد أوركسترا القاهرة السيمفونى اثناء عرض الباليه الذى وضعه لنا ، بالاضافة الى عدة مؤلفات موسيقية اخرى .

وكان ظهور المسرح خلال الحرب الأهلية فى « تركستان » التى سبق الحديث عنها ، واسسه الشاعر والكاتب المسرحى « حمزة حكيم زادة نيازى » .

وتتصل بالوزارة عدة معاهد ومدارس ومتاحف ومسارح ومؤسسات موسيقية ، وهى ، معهد الكونسرفاتوار ومعهد آخر للمسرح

والفنون المسرحية ، و ١٢ مدرسة موسيقية تخصصية ، و ١٩٠ مدرسة ثانوية موسيقية ، و ٤ مؤسسات للفرق الموسيقية (الفيلهارمونيا) ، و ٢٥ دار عرض مسرحي للمحترفين منها ٢ للأوبرا والباليه ، و ٥٠ مسرحا شعبيا خاصا بالاضافة الى ٢٧ متحفا وفروعا فنية وتاريخية ، فضلا عن ان لكل مسرح متحفا خاصا به .

وتوجد ٢٧ فرقة مسرحية رسمية للمحترفين ، كما توجد فرق فنية يصل عددها الى ثلاثة آلاف فرقة يشترك فيها ٦٥٠٠٠ شخص كلهم فى واقع عملهم الأساسى يعملون فى المصانع والكولخوزات — أى أنهم العاملون



مسرح « على شيرنوائى » بطشقند

بالصناعة والزراعة — وكذلك من طلبة المعاهد المختلفة . وهذه الفرق لا تتبع الدولة ، وانما هى مرتبطة بمجالات العمل أو التعليم ، وتلقى من الدولة اهتماما كبيرا ، فتنظم بينها مهرجانات تليفزيونية لاختيار احسن الفرق تحت الشعار الذى أطلقه « لينين » — فن الشعب . ولا يقتصر نشاط هذه الفرق الفنية داخل أوزبيكستان وحدها ، او فى حدود الجمهوريات الخمس عشرة السوفييتية ، بل ويتعدى هذا النشاط حدود الاتحاد السوفييتى . فقد عملت فى أيطاليا فرقة « كولخوزلينين » من منطقة شخريزابس . وفرقة منطقة « أخوم ببلبابيف » فى انديجان قدمت حفلات فى تشيكوسلوفاكيا ، وفرقة « دار الثقافة » بمنطقة « تبراى » فى ضواحى



تمثال اولوغ بك فى سمرقند النحات « م . موسابايف »

طشقند عرضت حفلاتها فى بلغاريا ، وفرقة فرقس ، للغناء والرقص بجمهورية « قره قالبق » وهي تتكون من اربعين فتاة قدمت عروضهـا فى يوغوسلافيا وفرقة الهواة بمدنية « انديجان » عملت فى هنغاريا . أما فـرقة « لازجى » ـ وسيأتى حديث مفصل عنها ـ فسوف تقوم بجولة فى أفريقيا فى نوفمبر ـ ديسمبر من هذا العام ١٩٧٤ وفى برنامجها زيارة مصر .

أما مسرح العرائس ، فقد أنشىء فى طشقند قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد اشترك هذه السنة فى أعياد مايو بموسكو فقـدم عروضا للتمثيليات بعضها للكبار بلغ عددها ١٣ ولمدة شهر ، وجدير بالذكر أن نشير الى أن أول مطبعة أنشئت كانت فى طشقند سنة ١٨٦٨ .

وفى ١٩١٣ كانت تصدر ١٥ نشرة دورية لكل تركستان ، منها جريدتان وثلاث مجلات باللغة الاوزبيكية والجريدة تصدر مرتين أسبوعيا وتطبع كل مرة ٢٠٠٠ نسخة .

وفى نفس السنة (١٩١٣) صدر ٥٦ كتابا طبع منها ١١٨٠٠٠ نسخة من بينها ٣٣ كتابا باللغة الأوزبيكية طبع منها اجماليـا ٧٩ ألف نسخة (فى كل تركستان) .

والآن ، يصدر فى أوزبيكستان ٢٠٠٠ كتاب سنويا واجمالى المطبوع ٣٠ مليون نسخة ، أما مجمـوع ما صـدر فى أوزبكستان خـلال حـكم السلطـة السوفييتيـة فيصل الى ٦٤ ألف كتاب طبـع منها ٧٨٩ مليـون

نسخة . اما الصحافة ، فتصدر ١٣٠ مجلة و ٢٢٧ جريدة ، وتصدر بسبع لغات ، ومجموع ما يطبع من هذه المجلات والجرائد فى المرة الواحدة اربعة ملايين نسخة .

وأول محطة اذاعة تم تركيبها سنة ١٩٢١ ، وفى السنة التالية (١٩٢٢) تم تركيب محطة الاذاعات التجريبية ، وفى سنة ١٩٢٧ بدأ تشكيل أول محطة اذاعة واسعة على نطاق الجمهورية الأوزبكية . وهذه المحطات الثلاث تذيع بست لغات هى الانجليزية والعربية والفارسية والهندية والاوردية والاويغورية .

وتوجد فى الجمهورية ٤٠٠٠ دار عرض سينمائى و ٣٥٠٠ ناد و ٢٤٠٠٠ مكتبة شعبية .

وتقدم الوزارة مساعداتها الى الاجتهادات الشعبية فى مجال السينما . ذلك انه توجد فى اوزبيكستان ستديوهات للسينما الشعبية ، ويمكن ان تكون فى المصانع أو المشروعات الكبرى الانشائية او فى كولخوز كبير . فمثلا ، فى سوفخوز لتربية العجول ولزراعة القطن اسمه « ماليك » ومخصص لتجربة الاساليب والآلات الحديثة ، تم تقديم نتائج هذه التجارب الى سائر الانحاء التى قد تستفيد منها ، فأنتج فيلم سينمائى لبعض هذه التجارب منذ بدايتها حتى تمت ، وهذا الانتاج قام به منتجو الأفلام الخاصة هناك .

وتقوم النقابات بتنظيم مسابقات لاختيار أحسن الأفلام ، لترشحها للدخول فى مسابقة ــ على نطاق الاتحاد السوفييتى ــ بموسكو حيث بها دار لتوزيع وطباعة هذه الافلام .





فرقة الأغانى والرقص الشعبية الكلاسيكية الخوارزمية

مع فرقة لازجى

كان برنامجنا يتضمن زيارة لفرقة الباليـه والاوبرا ، ولكن هذه الفرق كانت فى فترة العطلـة السنويـة ، ورغم أن « نـاريمان » تحدث طويلا عن المدهشات والروائع التى سوف اتمتع بها فى الباليه والاوبرا ، فقد كان وهو يقدم المعاذير بسبب العطلة يبدو كمن تورط فى خطأ ، أو لعله الأسف على عدم تحقيق ما سبق أن دعانى الى التمتع به . وقال فى ختام اعتذاره ــ كنوع من الترضية والتعويض الجزئى :

(أرجو أن تجد بعض التعويض فى مشاهدة فرقة لازجى) .

وفى العاشرة صباحا ، كنت أسير بجانب « بوريس » فى الشارع الذى يواجه الفندق ، ولم نبعد كثيرا حتى دخل من باب صغير وهو يقول لى :

ــ من هنا .

وتبعته الى فناء داخلى ثم دخلنا من باب يصـل الى صالـة كبيرة وعاليـة وارضيتها مـن الخشب . وهناك كان ما يشبه مجموعة مـن خلايـا



« جوهر خانوم » مديرة الفرقة

النحل ، دائبة الحركة ، وما لبث أن توقف كل شىء لدى دخولنا . وتقدمت منا سيدة متوسطة القامة قدمها لى « بوريس » باسم « جوهر خانوم » . واتخذنا مجلسنا داخل الصالة حيث وقفت على جانب منها مجموعة من الراقصـات لا يتحركن كأنهن فى انتظار اشارة من أحد . وقالت السيدة « جوهر » لبوريس أنها تقترح أن نشاهد عرضا كانوا على وشك تقديمه عند دخولنا .

واشارت بيدها الى جانب فى الصالة تتراكم فيه اجهزة التسجيل والاذاعة فبدات اصوات موسيقية راقصة تتـردد . وبعـدها بلحظـات ــ



« فلورسون فياسوف » مصمم الرقصات



« محمد جان ميرزاييف » واضع الألحان

ويبدو أن ذلك محسوب من قبل - اذا الراقصات الساكنات يتحركن فى توافق يكاد يكون تاما الى درجة التطابق . واخذت استعرض الجهد الذى يبذلنه واحدة واحدة ، فوجدت انه مع اتفاق الحركات والتوقيتات من ناحية الزمن والخطوات فان لكل راقصة لازمة خاصة بهـا فى التعبير فلم يكن جميعهن ضاحكات او حالمات التعبير ، بل اتخذت كل واحدة حالة التزمت بها . ووجدت نفسى ماخوذا من جانبين مـن اذنى بموسيقى عـذبة اشعرتنى بالالفة التى ننفعل بها كلما سمعنا لحنا شرقيا ، وتكاد من سحرها وتتداخل مع الاجسام المرنة الشابـة من الراقصـات حتى يكـادا أن يصبحا تدفعنى الى التهور والرقص ، لولا بقية من حياء مع عجز أصيل عن هذه الخبرة . ومن الجانب الآخر كانت انظارى مشدودة وتكاد جفونى تعجز من أن تطرف حتى لا يفوتها اى جانب ولو ضئيلا من هذا الانسجام الحركى والذى يكاد مع الموسيقى أن يؤلفا جسما واحـدا تمتزج فيـه النغمات وتتداخل مع الاجسام المرنة الشابة من الراقصـات حتى يكـادا ان يصبحا شيئا واحدا لا هو نغم وحده ولا هو أجسام انسانية ، بل كائنا ثالثا فيه ارتقاء بالصوت بالمادة الانسانية الى مستوى أسمى ووسط هذا الانسجام الذى عشت فيه ما يقرب من ست دقـائق ، انطلقت السيـدة « جوهر » صارخة وهى تهب واقفة وترفع يدها ، وفورا توقفت الموسيقى وسكنت الاجسام الشابة عن الرقص وقد تحولت الأنظار نحوها . بينما أخذت تلقى بكلمات لم أفهم معناها بلا شك ولكن ادركت انها كانت تقول رأيها فيما دار



ـ«صان يال دييف» أحدث راقص (١٧ سنة) هذه السنة أنهى دراسة الرقص ـ ٤ سنوات ـ وبدأ العمل فوراً فى لازجى



ـ « جولسادا يعقوبوا » مغنيـــة مشهــورة وراقصـــة شعبية

بين الموسيقى والرقص مما يخالف التصميم الموضوع والالتزام بالاصول .
وابتسم « بوريس » فى شماته لانى كنت مستغرقا فى متابعة العرض وكانى نسيت الغرض الذى جئنا من اجله ، وقال وهو يكاد يطير مرحا :

ـ لا بد من بعض الوقت لا عادة اجهزة التسجيل بحيث تبدأ من الاول ، واظن من المناسب أن ندخل فى حديثنا مع المسئولين عن الفرقة .

واخيرا استقرت السيدة « جوهر » فى مكانها بعد أن فرغت من القاء توجيهاتها . وقد عرفت من « بوريس » أنها منشئة هذه الفرقة ومديرتها حتى اليوم . ونادت السيدة « جوهر » على بعض مـن الحـاضرين فجاء اثنان . احدهما طويل ممتلىء الجسم ويظهـر عليـه التقـدم فى السن بعد مرحلة الرجولة ، وفى ملامحه ما يدل على الاهتمام الشديد بشىء ما الى درجة التركيز ، ويكثر من المرور براحة يده على رأسه ليمسحها مما قد يكون تراكم فيها من حبات العرق ، اذ أن الشعيرات القليلة والقصيرة لا تكفى لهذه المهمة ، او لعلها حركة اعتادها حتى اصبحت لازمة تلقائية .
وعرفت ان اسمه « محمد جان ميرزاييف » وهو الذى يضع الحان الفرقة التى ترقص عليها ، وأنه يستلهم التـراث الموسيقى الفنـائى الاوزبيكى



— « أريدا أريد الله » و « تربيونوى ميليبايوا » راقصتان متخصصتان فى الرقص الشعبى

محافظا على خصائصه القومية بكل حرص . وقد أجابنى على ملحوظة عن وجود تشابه كبير بين روح هذه الأنغام والألحان وبين ما هو معروف بفن الطرب الموسيقى ، فقال أن الذوق الأوزبيكى فى الغناء والحان الرقص منذ الاجيال العديدة يميل الى اللون التركى القديم والايرانى والأفغانى ، فهذا الاشتراك متوارث من العصور التى كانت مصائر حياة هذه البلاد مشدودة ومتجاذبة فيما بينها . فالذوق العربى فى الغناء والموسيقى كان هو الذوق السائد منذ ظهور الدين الاسلامى وغزو هذه البلاد . فضلا عن ان هذا الاسلوب الفنى قد لاقى استجابة وارتياحا فى نفوس الشعب لما فيه من تطريب حنون مهدىء للأعصاب ويدفع الى السكينة . ويبلغ هذا الملحن من العمر ٦٠ عاما ، وله أكثر من ٣٥٠ لحنا شعبيا معروفا ، وسوف تحتفل الحكومة به رسميا فى ٩ سبتمبر القادم .

وتعرفت على « طورسون فياسون » وهو مصمم الرقصات ، الذى اخذ يشرح لى الوحدات الحركية التى تقوم عليها كل رقصة ، وكيف أنها تختلف عن بعضها فى نوع الحركات وترتيبها ، وكذلك كيف تختلف الحركات بين راقصة واخرى دون أن يخل هذا الاختلاف بالايقاع المنتظم وبتتابع العرض . وهو شاب يكاد أن يكون قد تجاوز العقد الثالث بسنتين أو ثلاث



— « فلورا باباييفا » أنهت دراستها الفنية من مدرسة طشقند ١٩٦٧ ثم اشتغلت فى مسرح الأوبرا فى « أشقباد »— تركانيا— وفى يناير من هذه السنة (١٩٧٤) اشتغلت فى فرقة لازجى ، لأن موطنها الإصلى طشقند

على اقصى تقدير . وهو لهذا يعد نموذجا من مئات النماذج التى أتاحت لها الثورة فرصة الدراسة الفنية حتى أمكن اعدادها لهذه المهام الفنية .

وبقى الدور على مديرة الفرقة ، التى صممت قبل الحديث عن نفسها ان تقدم لنا الراقصة الشعبية « زهرة جزيفا » والمتخصصة فى رقص الباليه بالفرقة ، وكذلك المغنية الشابة « مولودة » وهى فتاة جميلة الملامح صغيرة الحجم حتى لتكاد تتصورها تلميذة فى الصف الاول الثانوى على اقصى تقدير ، وهى من الأسماء اللامعة فى الغناء القومى .

واخيرا بدات السيدة « جوهر » تحكى قصتها .

فى ١٩٠٥ كانت مازالت طفلة عندما وجدت نفسها مع أربع أخوات لها يتعرضن لنقمة القيصر نيقولاى الثانى الذى قرر نفى هـذه العائلة لان عائلها كان ثائرا ضد القيصرية . وكان قرار النفى قد حدد الجهة التى تقرر



– « آى دين ايجا مبرديفـــــا »
أنهت دراسة الرقص فى طشقند ١٩٦٥
اشتـــــغلت أولا فى فرقة
« شودل » والآن فى لازجى
متخصصة فى الرقص الخوارزى والأفغانى

نفيه اليها ، وهى منطقة « مرغلان » فى وادى « فرغانـة » وهى جـزء من اوزبيكستان اليوم . ولم يكن اختيار هذه المنطقة بالذات مسألة صدفة ، بل كان اختيارا مخططا بدقة وبتأمل . فهذا الوادى كـان يسمى باسماء اخرى مثل « وادى الهلاك » و « وادى المجاعة » لصعوبة ظروف المعيشة فيه ، نظرا لقلة المياه الجارية فيه ولا نعزاله عن طريق العمـران ، فكأنه منفى آخر الدنيا . وهناك سبب آخر أكثر خبثا وراء هذا الاختيار . فقد كان الأب من أصل ارمنى ، وهذا يعنى انه من طائفة دينية تؤمن بالنصرانية . وهذه المنطقة كلها مسلمون ، من أولها لآخرها . فكأن القيصر اراد بهذا ان يضعه فى بيئة غريبة عنه تماما فلا يستطيع أن يتحرك ويمارس عمله الثورى أولا ، ثم أن ظروف المعيشة تفرض عليـه الاتجـاه الى مشكلات يومية صعبة الحل تستهلك جهده وتستنفد طاقته المعادية لنظام الحكم القيصرى . وهكذا وجدت هذه العائلة نفسها فى هذا الوسط الغـريب ، بلا



- « مولـــــــودة »
نجم صـــــاعد جديد فى
عالم الرقص الشـــــعبى

بيت يؤويها أو ذوى قربى أو حتى معارف تلجأ اليهم ، فكـانت أول عائلـة نصرانية تقيم هناك . فماذا وجدت ؟

لقد صدق القول بأن اكثر الناس استعدادا للعطف هم احوجهم الى العطف . فقد كانت ظروف الشعب الأوزبيكى فى ذلك الوقت ــ كما سبق أن شرحت ــ فى ادنى درجات التخلف من فقر وجهل ، وكان الحال السيىء يشمل الغالبية العظمى ، بل ويتضاعف سوءا فى هـذا الوادى الكئيب . والذى حدث كان غاية فى البساطة . فقـد مـد الأوزبيكيون الفقراء لهذه العائلة يد العون والمساعدة ، وكان أول هذا العون منحها بيتا تقيم فيه ، وبدأت تدخل فى عجلة الحياة الرتيبة فى هذا المنفى حتى قـامت الثورة فى سنة ١٩١٧ ونجحت فى الاستيلاء على السلطة بعد الاطاحة بالنظام القيصرى . ولم يمض وقت طويل حتى هبت فى المنطقة موجـة عنيفة من اعمـال القتل والتخريب قامت بها عصابـات الرجعيـة « الباسماتش » التى كـانت تقتل القادة الشيوعيين والنقابيين وتخطف الفتيات من بنات الشعب الفقيرات . وكان نصيب « جوهر خانوم » وكذلك أختها « ليزاخـانوم » هو الخطف . وكان من نتيجة هذه الحرب الأهلية أن وصلت حالة هذه العائلة الى الفقر المدقع . وعندما انتخب أول رئيس للجمهورية « جولداش اخوم بباباپوف » وكان يعمل من قبل فى خدمة الأغنياء ، ولهذا كان يعرف حالة هذه الأسرة ، فشمل هذه العائلة بعطفه وارسل الأختين « جوهر وليزا » الى بيت مخصص

لرعاية الأطفال حيث وجدتا عناية مناسبة من التعليم وتنمية المواهب الذاتية . وكانت النتيجة أن حققت هذه العائلة نجاحا لكل افرادها على هذا النحو :

« تماراخانوم » وعمرها الآن ٦٨ عاما أصبحت فى وقتها مغنية مشهورة جدا فى جميع انحاء الاتحاد السوفييتى ، وكانت موهوبة فى الغناء بكل اللغات .

و « أماليا خانوم » وكانت تجيد اللغات الفارسية والأرمنية والروسية الى جانب اللغة الأوزبيكية الفصحى ، واشتغلت بتدريس هذه اللغات ، وتوفيت سنة ١٩٧١ .



ـ الفرقة الموسيقية المصاحبة للراقصات والراقصين

و « ليزاخانوم » وقد وصلت الى الشهرة كممثلة شعبية محبوبة .

و « فيكتوريا رومى » التى اصبحت استاذة فى العلوم الطبيعية النباتية وتخصصت فى القطن الذى يعتبر المحصول الرئيسى فى أوزبيكستان .

هكذا أصبح حال هذه الأسرة بعد الثورة . وتزوجت « تمارا » مغنيا مشهورا ، فطلبت منه الحكومة تأسيس المسرح الشعبى فى مدينة « قوقند » وكان المسرح وقتها يشمل جميع الفنون المسرحية من تمثيل ورقص وغناء وبدون تخصص . ومن هذه البداية هناك ظهرت اول معلمة للمسرح « ماريا كوزينتسوف » وكانت ابنة لعامل بالسكة الحديد ومن أصل روسى وتجيد اللغة الأوزبيكية ولها المام ودراية بالتقاليد المتوارثة فى المنطقة ، وكانت أول ممثلة أوزبيكية زاملت « حمزة » الشاعر والملحن الأشهر الذى وضع أول الحان واغان سوفيتية تعرف باسم « شورى » .



— « زهرة جلبيفا » راقصة الباليه الأولى بالفرقة درست بالمدرسة ٦ سنوات ، ثم اشتغلت فى مسرح موسيقى ثابت ، ثم فى فرقة لازجى من سنة ١٩٦٥

وتروى « جوهر » بعض ما تبقى من ذكريات عن فترة بيت الرعاية الذى بدات فيه التعليم ، ففى سنتى ١٩٢٣ — ١٩٢٤ كان التعليم باللغة العربية . وجاء مدرسون أتراك لتعليم الغناء التركى ، وفى نفس الوقت كانوا يلقنون الطالبات دعاية عن النظام الجديد فى تركيا وهو الذى تم بقيادة مصطفى كمال (اتاتورك) . ونظرا لوجود تقارب كبير بين شعوب آسيا الوسطى والشعب التركى فى العادات واللغة والتقاليد وجانب من المزاج المشترك ، فقد عمد هؤلاء المدرسون الاتراك الى فرض الأغانى التى تحمل مفاهيم وافكارا تدعو الى تمجيد الفرد والذات على حساب المجموع وتنشر افكارا تضعف من ثقة الجماهير فى الثورة الاشتراكية السوفييتية ، وقد اتضح بعد قليل ان هذا النشاط لم يكن بعيدا عن قوى الثورة المضادة



ـ صانع العود . . يختبر رنينه

التى حطمها الشعب والحزب الشيوعى خلال الحرب الأهلية ، بل كان هؤلاء المدرسون الأتراك كمن طرد من الباب ليحاول الدخول ثانية من الشباك ، وكانت لهم ميول انجليزية واضحة . ولم تأت سنة ١٩٢٦ حتى تم التخلص منهم وطردهم نهائيا من آسيا الوسطى كلها الى غير رجعة ، وكان ذلك بعد أن وضع الحجر الاساسى فى الفنون والمسرحية .

وبدأت « جوهر » كلامها بابتسامة منتصرة وهى تتساءل ، عن :

ـ ماذا كانت نتيجة النفى الى « وادى الهلاك » ؟

وعندما سألتها عن اسم « لازجى » وماذا يعنى ، قالت أنه اسم عام ، ولكن الفرقة لها اسم آخر :

(فرقة الاغانى والرقص الشعبية الكلاسيكية الخوارزمية .)

وان افراد الفرق ٤٩ شخصا ، منهم ٩٥ ٪ من معهد الرقص و ٥ ٪ من الهواة ، ومن بين الراقصات ثلاث روسيات ، وأن تخصص الفرقة الأساسى فى الرقص الخوارزمى ، وقد وضعت الفرقة أغنية خصيصا لمناسبة الاحتفال بمرور نصف قرن على تأسيس الجمهورية ، واسم الاغنية « الذكرى الذهبية » ، وان الملحن الكبير « محمد جاف ميرزاييف » لتنشر موسيقاه ايضا خارج أوزبيكستان فى جميع أرجاء الاتحاد السوفييتى ،

ومنها ما عرف خارج الاتحاد السوفييتى ، كما أنه الـذى لحن « سماء الديجان » .

وآخر مرة رأيت فيها فرقة لازجى كانت قبل سفرى للعودة ، وذلك أثناء التقاط صور للفرقة بملابسها الزاهية المزركشة أمام مناظر النافورة الهائلة فى ميدان لينين حيث كانت السيدة « جوهر » تحمل مظلتها ذات الألوان الزاهية وهى تنظم حركات المجموعات الراقصة أمام حوض السباحة بينمـا كان المصور المتخصص لهذه العملية يتحرك بعصبية زائدة . وهذه الصور تلتقط للفرقة استعدادا لعمل المطبوعات والدعاية المطلوبة اعلاميا ، لان الفرقة سوف تقوم بجولة تقدم فيهـا عروضها فى منـاطق من افريقيا فى حوالى نوفمبر وديسمبر من هذا العام ، وأن مصر تدخل فى برنامجها .

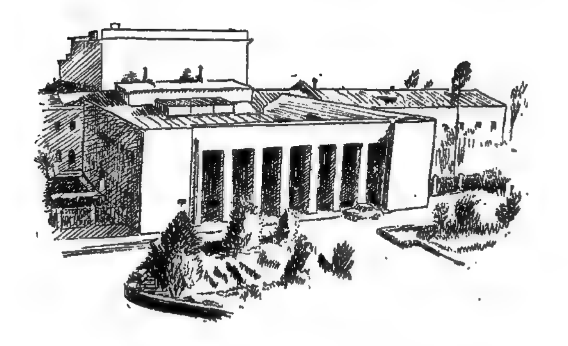
وودعتنى الفرقة بالتحية وشخشخة الدفوف بينمـا كـانت السيده « جوهر خانوم » تلوح بيدها وهى تقول :

الى اللقاء فى القاهرة هذا الشتاء .



— مديرة الفرقة توجه تعليماتهـا أثناء التقاط صور الراقصات أمام نافورة الميـاه الضخمة

فى إستوديو أوزبيك فيلم

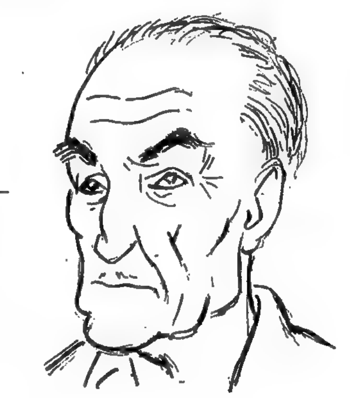


فى أستديو « أوزبيك فيلم » التقيت بمديره « أولماس عمر بيكوف » الذى دعا الى هذا اللقاء وهو واحد من مؤسسى السينما الأوزبيكية وهو الممثل الشعبى للاتحاد السوفييتى و « بكامل يار محمد ياتوف » بطل العمل الاشتراكى والحائز على الجائزة الدولية السوفيتية ، و « قيوم عبد الرحمنوف » الكاتب الأول لمدير الاستديو ، و « جورا ليسابا ييف » المسئول الأول عن الاستديو .

ومنذ بدء الحديث ، كانت نظراتى منجذبة الى الممثل الشعبى الكبير « كامل » ولا أكاد ارفعها لأكتب ملحوظة أو لأوجه سؤالا الى مدير الاستديو ، حتى تعود ثانية لتستقر على ملامحه العجوزة الطيبة التعبير . وفى الغالب ترتسم ابتسامة المجرب الخبير على صفحة وجهه كلها وتفصح عن حالة من الاطمئنان والسكينة لعلها هى التى جعلتنى أطيل النظر اليه ، وهو يحكى عن الكيفية التى قامت بها السينما الأوزبيكية .

قبل الثورة لم تكن هناك سينما ولا حتى مسرح . وما ان انتهت الحرب الاهلية سنة ١٩٢٤ حتى أتيح للسلطة السوفييتية ان توجه عنايتها الى أهم الواجبات بعد ذلك واكثرها خطورة فى تطور الشعوب ، وهى الثقافة .

ومن احدى المدارس الدينيــة الصغيرة والقــديمة قــامت مظاهرة شعبية بمناسبة افتتاح أول ستديو سينما فى كل آسيــا الوسطى . وكان المشتركون فى المظاهرة هم انفسهم الذين كانوا بالأمس يقــاتلون دفاعا عن الثورة واقامة السلطة الاشتراكية هناك ، وكان « كامل » من بينهم الذى



— « كامــل ياد محمــد ياتوف »
الممثل الشعبى للإتحاد السوفيتى
بطل العمــــــل الاشــتراكى
الحائز على الجائزة الدولية السوفيتية
بطل فيلم « عاصفة على آسيا »
وفيلم « الفرسـان والثــورة »
وفيلم « أمـــــير بخارى »

ما كادت كلمة لينين « أن السينما هى أهم الفنون » حتى اتخذها شعــاره لخدمة الشعب ، ومن وقتها اصبحت الافلام بدل البنادق لتبــدأ رحلة التقدم مسيرتها من حالة التخلف الى مرحلة تثقيف الشعب .

كان جيل « كامل » شبابا بغير خبرة ولكن كــان لــديهم ما يقولونه مما عاشوه بأنفسهم أو مما تلقوه عن أبائهم وأجدادهم من مظــالم حكم الطغاة ، وما عانته الشعوب من قسوتها . وكــان لا بــد لهم من يــد تمتــد بهذه الخبرة المنشودة ، فوجدوا فى الخبراء الروس ما يسد هذه الحاجة . ولم يكن هذا شىء بــل كانت هناك عوائق تحتاج الى الازالــة .

فالمرأة كانت محجبة ، وسينما بغير امراة كالرقص بقدم واحدة ، وجاء الحل أيضا على يد المراة الروسية . وكان المسرح وقتذاك يعمد الى أسناد الادوار النسائية للرجال .

والعقبة الثانية كانت فى قلة عدد المشتغلين بالسينما الى درجة الندرة .

وكان اهم الموضوعات وقتئذ ، هو تحرير المراة ، والنضال من أجل تشكيل الكولخوزات والنظام السوفييتى ، ومقاومة العدو ومضاعفة اليقظة لمناوراته ومؤامراته . وهى موضوعات تتجه نحو دعم النظام الجديد . لذلك ، فنحن لم نكتف بالدور الذى قمنا به لاقامة النظام السوفييتى ، بل مازلنا ملتزمين بمتابعة الحكاية التاريخية ليظل منسوب المعرفة والوعى بالأيام الشاقة التى عانى منها اباؤنا واجدادنا بالمستوى الكافى ليكون فى مفهوم الشعب دائما من هم الأعداء ومن هم الاصدقاء ولدعم روح الصداقة مع الشعوب السوفييتية من أجل التقدم والسلام .

وعند بداية السينما فى أوزبيكستان لم يكن هناك غير سوق العرض المحلى ، أما الآن فان الفيلم الأوزبيكى يعرض فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتى وأيضا خارجه .

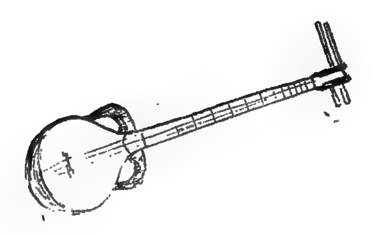
وعند بداية السينما فى أوزبيكستان لم يكن هناك غير سوق العرض يحظى باحترام زملائه من الجيل السينمائى الجديد وتقديرهم له ، لا بوصفه المسئول الفنى للاستديو فقط ، ولكن باعتباره فنانا كبيرا وجزءا من حياة السينما الاوزبكية . وجدير بالذكر أنه قام ببطولة ثلاثة من أشهر الأفلام السوفييتية وهى عاصفة فوق آسيا والفرسان والثورة وأمير بخارى .

وجاء الدور على المسئول الأول عن السيناريو « جوراتيشابابييف » ليعرض لنا الوضع السينمائى الراهن ، بادئا بمشكلات اعداد القصص للسينما .

حقيقة ان اختيار الموضوع المؤلف من اهم المشكلات ، حتى فى أيامنا هذه . ولكن مع تطور الأدب والفن والخبرة التطبيقية ، لم يعد ذلك مشكلة حادة .

فالتعامل مع أهل الادب والفن كما هو معروف فى كل أنحاء العالم ـ عمل صعب ويصل احيانا الى حد أن يصبح شاقا للغاية . ولكننا . بعد تجارب كثيرة ـ توصلنا الى طرق متعددة لاجتذاب المؤلفين للسينما ، كما ان لدينا الآن معدين متخصصين للسيناريو فى الاستديو ، كما أننا





منذ سنتين انشانا ادارة خاصة بالسيناريو ، ويتألف اعضاؤها من المؤلفين الشبان وذوى الاستعداد والمهتمين بالسينما .

والطريق الثالث هو جذب دائرة كبير من الكتاب الى الحقل السينمائى .

ولدينا أساليب مختلفة لهذا الجذب :

اولا نطلب منهم أعـداد السيناريو كاملا ، ثم نحـاول شراء مؤلفاتهم لاعدادها سينمائيا . ويتولى قسم السيناريو الذى يراسه دراسة المؤلفات الروائية لاختيار المواضيع المناسبة ، والاجتهاد لتخزين ما يكفى منها لثلاث أو أربع سنوات قادمة باستمرار . ولكن ــ مع كل هذا ــ لا يلتزم الاستديو بتحديد مؤلفين له داخل الجمهورية ، بل لديه علاقات بمؤلفى السيناريو فى كل جمهوريات الاتحاد . ففى هذه الايام يتعاون من المشاهير « ميخالكوف كافشالوفسكى » و « أندريـه تاركوفسكى » و « نيكولاى فيجوروفسكى » و « سيرجى فيليبوب » وآخـرون . أما الكتـاب الأوزبيكيون فمنهم المشاهير مثل « كامل ياشين » و « اسقط مختار » و « رحمت فـايزى » و « عادل يعقوبوف » وكذلك « جورا نيشابابيف » نفسه الـذى ينفـذ الآن فيلما من انتاجه .

ومع كل هذا ، فانهم يعتبرون هذا قليلا بالنسبة ــ لا لمـا يحلمون به ــ ولكن بمـا فى وسعهم تحقيقـه . فالاستديو ينتج عشرة افـلام روائية كبيرة ، خمسة منها للتليفزيون .

والحقيقة الواضحة ان المؤلفين اليوم قليلون بالنسبـة لحجم العمل ، والأمل أن يزداد عدد الكتاب ومؤلفاتهم الخاصة للسينما ، وان يكون لديهم مؤلفون متفرغون لوضـع السيناريوهات خصيصا لهم ، والذى لديهم ثمانية منهم الآن .

وبعد ان انتهت كلمـة المسئول الاول عن السيناريو فى ستديو اوزبيك

فيلم تناول الحديث مدير الاستديو ، لان أسئلتى كانت عن نشاط السينما فى نوع آخر من الانتاج .

فعن « الفيلم التسجيلى » عرفت أن له ستديو خاصا يديره واحد من أبرز رجال السينما الوثائقية هو الممثل الشعبى للاتحاد السوفييتى « رمالك فيوموف » .

وكم كنت أود زيادة هذا الاستديو بدافع اهتمامى الشخصى بهذا النوع من الانتاج الذى ارى عن اقتناع ـ انه اجدر أنواع الانتاج السينمائى بالاهتمام لانه اقربها واقعية وصدقا وتاثيرا فى آن واحد ، كما انه صالح لكل مراحل التطور باعتباره مصدرا من مصادر المعرفة التاريخية ايضا ، حيث لا تضعف قيمته بمرور الزمن ، بل تتضاعف .

وكان الاتحاد السوفييتى رائدا فى اكتشاف الطاقة الكامنة فى الفيلم التسجيلى مما جعله يمنح هذا النوع أوسع الفرص لينطلق ويحقق الكثير للتقدم الانسانى ، الى حد الاستفادة به فى تسجيل أحداث الحرب العالمية الثانية والتى وصلت خسائره من المصورين التسجيليين بضع عشرات من امهر الفنانين وذلك لكى يمسكوا بأيديهم احداثا وقعت فى اماكن محددة وفى أوقات محددة ، يستحيل استعادتها مرة أخرى بنفس الواقعية والصدق .

لقد رأيت ـ لأكثر من مرة ـ الفيلم الطويل الذى انتجه الاتحاد السوفييتى باسم « الحرب العالمية الثانية » ورايت ما حدث وكأنه يقع حولى وليس امامى على الشاشة المسطحة فقط ، ورايت من أهوال الحرب وبشاعتها ما سوف يظل مطبوعا فى ذاكرتى ما حييت ، كما رايت البسالة وكأنى دخلت فى ثيابها وعشت لحظاتها الباهرة التى حددت مصير البشرية فى عصرنا الراهن ولأجيال قادمة .



رأيت كل هذا ـ وكأنى أراه الآن وأنا أدون هذه الكلمات وبخاصة عندما كان المنظر المعروض يميل على أحد جانبيه فجأة بعد أن تفجرت امامه قذائف منها ما اقترب الى مستوى الرؤية بسرعة انطلاق الرصاص ، أن منظرا كهذا يستحيل أن ينساه المشاهد . وعلى الأخص عندما يدرك

ان المشهد الذى مال فجاة يعنى ان رصاصة اصابت المصور الذى يحمل الكاميرا ، لعله قد مات منها .

لهذا كنت حريصا على زيارة هذا الاستديو لا تعرف على آخر ما وصل اليه تطور الانتاج التسجيلى فى اوزبيكستان الجمهورية الفنية فى هذا المجال .

ولكن ، بسبب العطلة الاسبوعية – وهى يوما السبت والاحد – لم نوفق الى تحديد موعد لهذه الزيارة وسط كومة المواعيد التى كان ضيق الوقت المحدد لبرنامج رحلتى يحول دون التخلى عن احدها . ولهذا – ومع شديد اسفى ، اضطررت لتاجيل هذه الجولة الى فرصة اخرى .

الا انه لا يفوتنى ان اسجل هنا اقتراحا كنت اود مناقشته مع مسئولى ستديو الافلام التسجيلية ، ما دامت الزيارة اليه لم تتم ، وهو :

ان المناظر الجميلة التى رايت روعتها فى أرجاء طشقند وبخارى وسمرقند ، سواء من الجو او على الارض ، وروعة الانشاءات العمرانية وبحار الاشجار الوارفة ، كلها تستحق التسجيل . وحالة الشعب فى عمله ومتنزهاته ومعاملاته اليومية ايضا تستحق التسجيل كلها . ورؤيتها بعين خارجية تتيح فرصا مزدوجة الفائدة سواء فى اختلاف الذوق والرؤية أو تنوع الاهتمام من صور التطور الحديث فى اوزبيكستان . لماذا لا توجه الدعوة فى بعض المناسبات الى المصورين القديرين من مختلف انحاء العالم وتنظم لهم جولات بين ربوع البلاد لالتقاط جوانب الانجاز الحضارى الباهر الذى يولد اليوم هناك ، ومن المحتم أن يكون فى هذه المادة صلاحية لانتاج سينمائى تسجيلى مشترك يفيد فى اعلام الشعوب بمثال من بناء الاشتراكية ؟



ان هذا الاقتراح ليس موجها الى ستديو الافلام التسجيلية بجمهورية اوزبيكستان وحدها بل موجه فى الوقت ذاته الى اللجنة الدولية للسينما الأوزبيكية ومسئولها عبد الله يوف وستديو اوزبيك فيلم ومسئوله ماليك فيوموف والى وزارة الثقافة الأوزبيكية ، ووزارة الثقافة بالاتحاد السوفييتى وكافة الجهات التى لها دور ومسئولية فى هذا المجال .



— ديكور لمسرحية المهندس « ج . الكراموف »

ومن أفلام الرسوم المتحركة (الكارتون) ، قيل لى أن هذا النوع من الانتاج رغم أنه حديث العهد فى أوبيكستان ، الا أن الاستديو ينتج عددا من أفلام (الكارتون) وأفلام العرائس لا يزيد عن خمس أفلام مدة الواحد ربع ساعة .

كما ينتج سنويا خمسة أفلام أخرى مدة كل فيلم عشر دقائق من مجلة فكاهية سينمائية باسم « ناشتار » ومعناه « المشرط » وتدور موضوعاتها حول انتقاد النواقص الاجتماعية ، وبالأمس خرج أحدث فيلم فى هذه المجلة الفكاهية .

أما عن الممثلين ، فقد كان الوضع فى بدء العمل السينمائى يعانى من نقص الممثلين وبخاصة فى الادوار النسائية . فمشكلة نقص الممثلين تنعكس اول ما تنعكس على المسرح . ولكن الآن يوجد ٢٧ مسرحا فيه ممثلون وراقصون ومطربون ومغنون وسائر فروع التمثيل . ومن هنا فلا يوجد ما يعتبر ازمة ممثلين

والحكومة تساعد على تخصيص ممثلين لهذا الاستديو ، ويتولى هذه المسئولية الرفيق « خد جاييف » . ولدينا ارتباط باثنين وثلاثين ممثلا وممثلة .

وفى هذه الآونة يبدا العمل فى فيلم « شيخوف » ويشترك فيه ممثلون اكثرهم من ممثلى الاستديو .

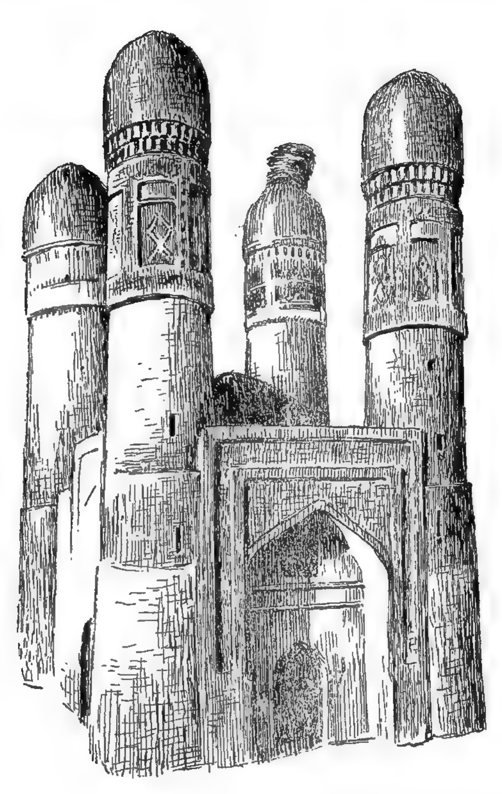
وتوجد مشروعات عديدة لتوسع هذا الاستديو مستقبلا .

وفى الاستديو ثلاثة بلاتوهات منها اثنان كبيران مساحة كل واحد ثلاثون مترا فى خمسة واربعين مترا والارتفاع المستخدم خمسة عشر مترا ، تم بناء ذلك ما بين سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ وقبل ذلك كان العمل يجرى فى بيت قديم . والى جانب هذين البلاتوهين يوجد بلاتوه صغير وبالاضافة الى هذا فلدى الاستديو مساحات شاسعة من الأرض المجاورة للتصوير الخارجى .

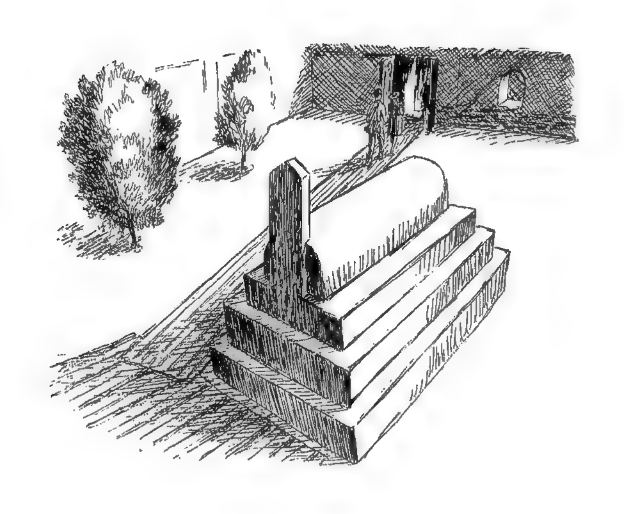
وفى الاستديو استعداد لترجمة الافلام التى تخرجها الاستديوهات السوفييتية والافلام الاجنبية الى اللغة الاوزبيكية وهو ما يهم المشاهد الاوزبيكى أولا ، ويتم ترجمة ما يقرب من ٨٠ فيلما سنويا .

وفى أوزبيكستان عدا استديو الافلام الوثائقية (التسجيلية) يوجد ستديو طشقند للسينما وستديو أوزبيك تيلى فيلم الذى ينتج نوعا من الافلام الاعلامية اسمها « أوزبيكستان بعيون الاصدقاء » .

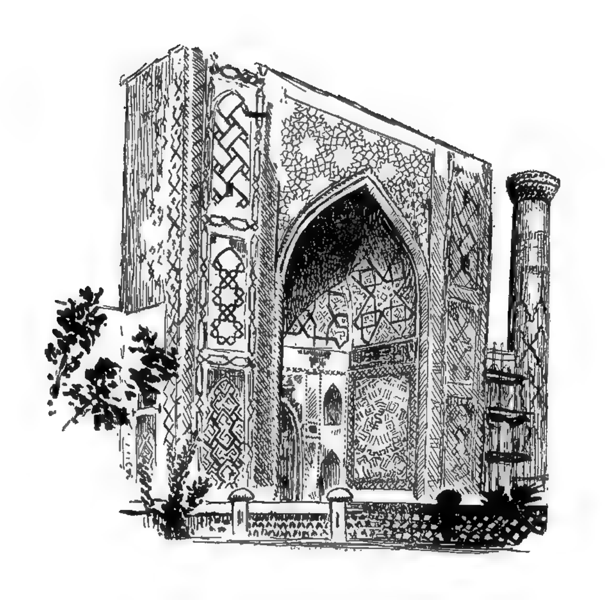




— مسجد قديم في بخارى



— ضريح الإمام « البخارى »



مدرسة أولغ بك في سمرقند



تمثال علي شيرنوائي



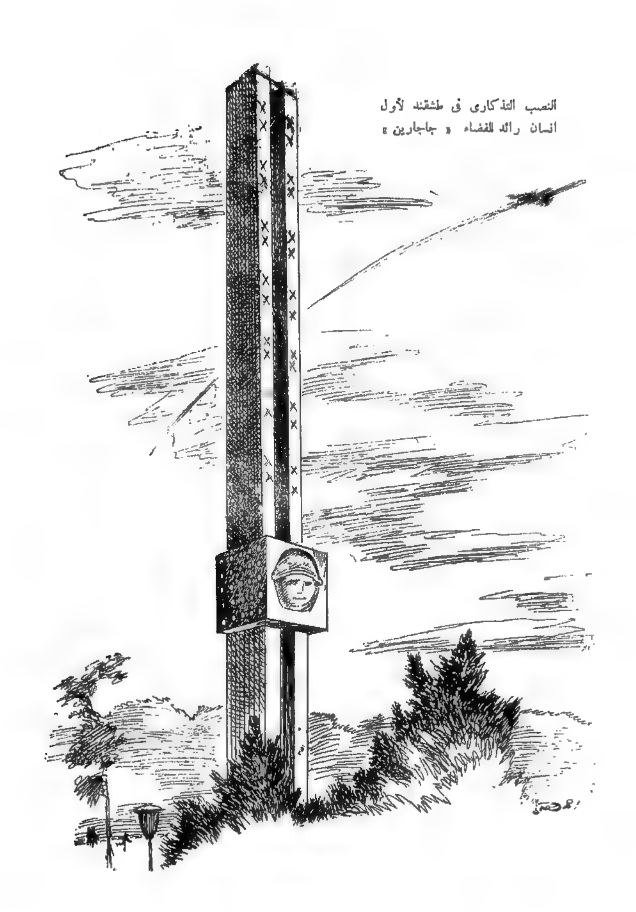
تمثال « شيرنوائي وحمزة »



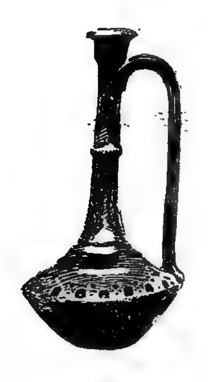
ضريح « اسماعيل ساماني » في سمرقند



تمثال « كارل ماركس » على هيئة شعلة فى حديقة طشقند



النصب التذكارى فى طشقند لأول
انسان رائد للفضاء « جاجارين »



فنى معهد الأبحاث العلمية للفنون

بين مجموعة من الحدائق جميلة الهندسة ، حيث أحواض بأكملها خصص كل واحد منها لنوع من الورود والزهور المنسقة كأنها لوحات تشكيلية رسمتها أيدى فنانين عباقرة ، أقيمت عدة مبان حديثة الهندسة ، احد هذه المباني ــ يتألف من أربعة طوابق ــ هو مقر معهد علمى من أحدث معاهد العالم واعجبها . ذلك أنه ليس مكانا لانتاج الفن ، بل هو متخصص فى القاء النظرة العلمية على كل ما يدخل فى دائرة الفنون وذلك بغرض استخلاص المعارف الفنية التى تساعد فى فهم الفنون القديمة كالآثار وتاريخ الموسيقى وآلاتها واساليب التصوير والنحت والزخرفة والعمارة ، الى جانب المسرح والسينما ... وإجمالا ، الفطرة العلمية فى كل ما يدخل تحت أسم الفنون .

وكان لقائى مع ستة من العلماء المتخصصين فى مختلف فروع الفن .

الاستاذ « ردنيك اسكندر ميخائيلوفتش » نائب المعهد وتخصصه فى علم المسرح ، والاستاذة « دلبارفان سعيدوا » ومتخصصة فى الرسم الاوزبيكى والسوفييتى ، والاستاذ « مدحت بن سعد الدين بولاتوف » متخصص فى الهندسة المعاصرة وهو أحد النقاد والفنانين البارزين وهو



— الحارسة للرسام «ف. فاديف»

واضع تصميم فندق طشقند ، والاستاذ «عمروف عبد الحى رشيدوفيتش» مدير قسم الفنون التشكيلية المعاصرة ، والاستاذ «تورغونوف بخادور عزيز وفيتش» نائب البعثات الاثرية فى الخارج وهو اركيولوجى ومتخصص فى علم الفن ، والاستاذ «اكباروف حميد الله الياشو فتش» وتخصصه فى علم السينما .

وقد كانت لدى عدة اسئلة حول دور المعهد وعن انجازاته الأخيرة ، وبخاصة عندما شد انتباهى كتاب مصور فى طباعة متطورة جدا عن آثار



ـ العروس الرسام « ج . كوطير مورادوف »

مدينــة « خيوا » التى اكتشفت أخيرا ــ الى جانب مواضيــع أخرى كنت حريصا على معرفة اى شيء عنها .

وقد أفاض كل مسئول فى الاجابة على مــا طرحته من أسئلــة ، كل فى حدود اختصاصه . وبعد ثلاث ساعات كاملة خرجت بمعلومــات وافية رايت ان اضغطها فى أضيق الحدود .

فالمعهد ــ الى جوار الاسم المكتوب على راس هذا الفصل ــ يطلق عليه أسم واحد من أبرز رجال الفن هو « حمزة حكيم زادة نيازى » الذى يعتبر مؤسسا لفروع عدة فى ثقافة اوزبيكستان من المسرحيات والدراما والشعر .

تاسس هذا المعهد سنة ١٩٢٨ وفى البداية كانت الثقافة متخلفة ولهذا كان المعهد مجرد ادارة صغيرة . وجاءت الحرب العالمية الثانية . فاغلق لمدة سنتين ، ثم فتح ثانية سنة ١٩٤٣ وهو مــا يــدل على ان الحكومــة ، رغم صعوبات الحرب واعبائها الثقيلة ، فانها كانت تهتم بعلوم الفن .

واول اهتمامات المعهــد تتجــه نحو تــاريخ الفن الأوزبيكى من عمارة وفنون تشكيليــة ومسرح وموسيقى وسينما وباليــه وتليفزيون ويعمل به حوالى مائة موظف .

وهذا المعهد من أكبر معاهد الاتحــاد السوفييتى ولــه اتصالات مع المنظمات الفنية والثقافية والعلمية بالخارج ويباشر ارســال بعثــات أثرية



الشاي جاهز .. الرسام « اينوغاموف »

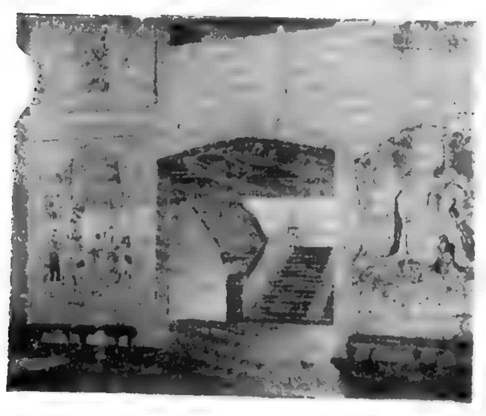
للخارج ويركز على دراسة آثار سمرقند القديمة وبخارى والثقافة التاريخية والحفريات فى اماكن عديدة من أوزبيكستان ، كما انه يعمل الآن فى افغانستان . والهدف الأخير للمعهد هو اخراج الدراسات عن كل فرع من فروع الفن .

وجميع العاملين بالابحاث ممن سبق تخرجهم من المعاهد العليا ، وبخاصة معاهد طشقند للفن والكونسرفاتوار واقلية غيرهم درسوا فى موسكو ولينينجراد . وبعد ذلك يمضون سنتين فى الدراسة بهذا المعهد ويوضعون فى درجة ترشحهم للدخول فى درجة الدكتوراه . وهذه الدرجة وسط بين الماجستير والدكتوراه ويعمل بالمعهد مجموعة من العلماء البارزين فى مختلف التخصصات .

وعندما سألت عن مصير الدراسات التى يعدها المعهد ، عرفت أنها تطبع الى جانب نشرات تنزل السوق للتداول ، وتتم الطباعة فى القاعدة الاساسية بطشقند فى دار النشر للأدب والفن واسمها « غافور غلام » وهى باسم واحد من ابرز الشعراء والى جانب هذا تطبع ايضا بموسكو ولينينجراد وأماكن اخرى ، وتصدر باللغة الأوزبيكية وكذلك بالروسية التى تصدر بها أكثر الكتب لغرض الدعاية للفن الأوزبيكى فى جمهوريات الاتحاد .

وفى مجال كشف الآثار ، فقد تم اكتشاف هام فى منطقة (رسوخانداريا). بمحافظة سمرقند ، حيث وجد هيكل لصبى صغير (٨ سنوات) وبجواره أدوات عمل ويرجع تاريخ هذا الكشف الى عصر انسان (النياندارتال) وهو موجود الآن بمعهد « سمرقند » .

وفى منطقة « دنياو » كان التوفيق من نصيب الدكتورة « جالينا آناتوليفنا بوبا تشنكوفا » ــ الحائزة على جائزة « حمزة » ومؤلفة « تاريخ الفن الأوزبيكى » ــ وذلك عندما بدات أولى ضربات الحفر فى قصر « خالشايان » اذ وجدت تماثيل من الطين صغيرة الحجم لا يزيد أكثرها عن حجم الكف وهى تمثل رؤوس الحكام والجنود والنساء والفرسان فى غرفة ، الاستقبال ، ويوجد تماثيل من هذا النوع للملك وحراسه وضيوفه وترجع بالتاريخ الى ٢٠٠٠ سنة (القرن الاول قبل الميلاد) ونظرا لانها مصنوعة من الطين وهو قابل للتفكك بسهولة ، فقد تم الوصول كيمائيا الى نوع من الصمغ الخاص الذى صنع فى هذا المعهد ، وحقنت به التماثيل الى درجة من التشبع جعلتها صلبة لا يسهل تهشيمها . أما الآثار التى وجدت داخل المدينة فهى مصنوعة من الجبس . كما وجدت أيضا قوالب صغيرة من الطين مما تستخدم فى صب التماثيل .



ــ استخدام الرسم الزخرفى داخل المبانى (١٩٤٧)

وقد شاهدت فى الطابق العلوى من المبنى جناحا مخصصا لهذه الاكتشافات الاثرية وقد الحق به معمل صيانة علمى للمحافظة عليها وتجهيزها للعرض . وهذا الجناح حديث الانشاء ، وهو فى نفس الوقت نواة لا بأس بها فى مجال الكشف الاثرى للفنون التشكيلية .

وعندما سألت عن مدى تأثر الفنون التشكيلية هناك بالتيارات الحديثة والتى أبرزها (التجريدية والسوريالية) ، جاءت الاجابة واضحة مؤكدة وفى نفس الوقت كانت منطقية تماما وهى :

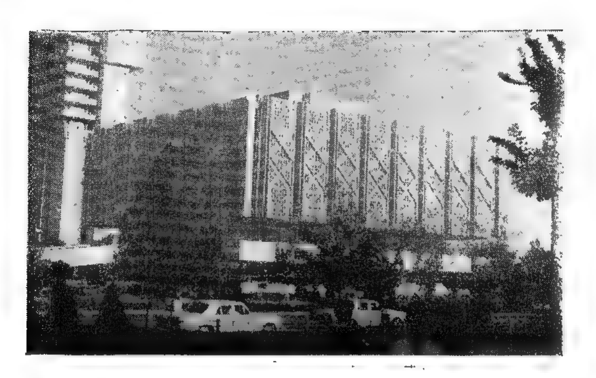
أن هذه الاتجاهات غير موجودة فى الفنون التشكيلية التقليدية كالتصوير والنحت والرسم عموما ، ولكن الذى يزور انشاءات معمارية مثل متحف « لينين » أو مسرح « على شيرنوائى » فسيرى الاستخدام القديم للفن ، وكذلك فى المتحف الرسمى للفن ومتحف الفنون التشكيلية حيث الدليل الواضح على الفن الاوزبيكى الاصيل . فالتجريد له استخدام واحد عندنا ، وذلك باعتباره عنصرا تجميليا فى الزخارف المعمارية أساسا .

ويعمل بالمعهد واحد من أبرز المتخصصين فى « السيراميك » وهو مرشح لجائزة الدكتوراه واسمه « محيى الدين رحيموف » ـ وهو يعتمد على ما تخرجه الاكتشافات الاثرية فى الحفريات من الفن القديم حيث يتولى دراستها فنيا ثم يباشر عملية التطوير بما يحافظ على طابعه الاصيل . والمثال على ذلك موجود فى مسرح « شيرنوائى » حيث توجد على جدرانه رسوم على نمط الفن القديم ، ويبدو هذا جليا فى فن « الجرافيك » وكذلك فى فن النحت الحديث بالفندق الجديد الذى أقيم فى « سمرقند » وأوضح الادلة على الاستخدام الزخرفى للتجريد يمكن مشاهدته فى مدينة « نوائى » بالصحراء .

خطوات الدراسة العلمية الفنية

جميع المتخصصين موزعون حسب الاقسام ، حيث يقوم علماء كل قسم بوضع برنامج العمل لعدة سنوات ، وهم بأنفسهم يحددون أهم المواضيع التى تهادور فى تلبية الاحتياجات القائمة . وتتم مناقشة ودراسة هذه البرامج فى المجلس العلمى للمعهد حيث يتولى كل واحد من العلماء العرض والمناقشة فى موضوع تخصصه .

ويكون المتخصصين العلميين المبتدئين مستشار من العلماء ذوى الخبرة . وعندما ينهى أحد الاقسام عمله تتم مناقشة هذا العمل داخل القسم . كنوع من المراجعة ، ثم يقدم الى المجلس العلمى لترشيحه بالقبول حيث يقرر المجلس الاعلى ويوصى باخراجه فى مطبوع معتمد من المجلس



ــ فرع متحف لينين فى « طشقند »

الى دار النشر التى تعمل وفق برامج واولويات ، كما يتابع المجلس تنفيذه فى الموعد الذى يرى ضرورته .

الحوافز والمكافآت الانتاجية

أولا هناك لكل واحد من العلمين بالمعهد مرتب على حسب درجته العلمية ، يعتمد عليه فى العمل . واذا اتم دراسته قبل الموعد المقرر تقدم له مبالغ معينة بصفة مكافأة له ويقررها مدير المعهد .

وبعض العلماء يقدمون دراسات عظيمة القيمة ، ولهذا فان النظام تشجيعا للاجتهاد العلمى انشأ عدة جوائز على مستوى الاتحاد السوفييتى كله ، مثل جائزة « لينين » و « الجائزة الدولية للاتحاد السوفييتى » وجائزة الجمهورية باسم « حمزة » .

وفى المعهد اثنان من العلماء الذين أصدروا كتاب « تاريخ الفن الاوزبيكى » وقد حصلا على أول جائزة للعمل العلمى بأوزبيكستان ومدير المعهد « واحد زهيدوف » حائز على جائزة « حمزة » هذه .

هذا الى جانب جوائز الاتحادات المختلفة ــ الرسامين والادباء والسينمائيين ــ بصفة دورية كل سنة ، وكذلك الجوائز الدولية مثل جائزة جواهر لال نهرو الدولية التى حصل عليها الفنان العظيم « مختار اشرفى » عن باليه « تعويذة الحب » وأيضا حصل على جائزة جمال عبد الناصر الدولية عن الباليه الذى وضعه لمصر .

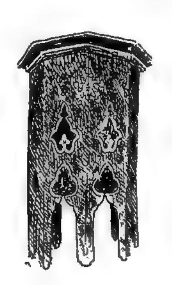
وفى الجوائز الادبية ، منح لقب شرف للبارزين فى الفن والادب ، مثل ممثل الشعب أو نحات الشعب ، وكثير من العاملين بالمعهد حائزون على القاب الشرف هذه .

الاتجاه المعمارى الجديد

تنسجم دراسة المعمار الحديث فى جميع مدن الجمهورية مع التاريخ المعمارى القديم . وفى الفترة منذ قيام الثورة تراكمت معلومات ضخمة عن تاريخ الفن المعمارى الاوزبيكى ، كما توجد عمارات من القرن التاسع الى القرن التاسع عشر وهى كلها مسجلة علميا وتحت رعاية وحماية الحكومة ، كما توجد عشرات من المؤلفات عن هذه الطرز المعمارية . وقد بدأت هذه الدراسة العلمية فى هذا المعهد .

لقد كان مشاعا بين الناس أن بلدان آسيا الوسطى والاسلامية لم يكن فيها علم للعمارة ، وحتى اذا وجد عمل فنى عظيم ، كان يقال أنه جاء نتيجة وجود افراد جاءوا من الخارج ولهم خبرة معمارية . ولكننا وجدنا من المعلومات المدونة باللغتين العربية الفارسية ما يدحض هذا القول ، ويدل على وجود سابق لعلم الفن المعمارى فى بلدان الشرق الاسلامى وهذا يثبت لاول مرة فى التاريخ . ويتم جمع هذه المعلومات فى كتاب تحت الطبع الآن فى موسكو وقد يصدر فى السنة القادمة ، كما ننتظر صدور كتاب فاخر باللغة العربية عن « طشقند » وتعميرها وهو باسم « نهوض طشقند » .

وآخير ، فان العلماء يلقون عناية من الحكومة ومن الحزب الشيوعى حتى يتمكنوا من مواصلة النشاط والعمل .





مع الموسيقار العالمي مختار أشرفي

— الحائز على الجائزة العالمية « جواهر لال نهرو » عن باليه «تعويذة الحب» وجائزة «جمال عبد الناصر» العالمية — ١٩٧٣ — عن الباليه المصري « الصمود »

عندما يقابل المرء انسانا للمرة الاولى ، يتولد لديه انطباع خاطف كومضة البرق ، ويكون لهذا الانطباع اثر مباشر فى شكل العلاقة بينهما بعد ذلك .

وهو ما حدث بالضبط — عندما دخلت مبنى كونسرفاتوار طشقند ، واجتزت عتبة باب مكتب مختار أشرفى ورأيتـه وهو يتقـدم فى منتصف الغرفة وهو باسط يديه مستقبلا ومرحبا . وحتى قبل أن تلتقى كفى بكفه بالتحية ، كان هذا الانطباع قد أحدث فى نفسى أثرا قويا جارفا ، يجذبنى الى هذه الشخصية الحلوة بمعنى الكلمة . ففى الحـال استحضرت ذاكرتى لقاءين كان لهما اثر حاسم فى حياتى ، عندما التقيت بالأستاذين العظيمين بيرم التونسى والشيخ زكريـا أحمـد . نفس الصفـاء والوضوح والطيبة والصدق والسمو الانسانى كلها كانت تتمثـل فى شخصيتى بيرم وزكريا . وفجاة وجدتنى أمام مثيـل لهما ، هو الاستاذ مختـار أشرفى . ولا أظننى

قادرا على تسجيل كل مشاعرى فى هذا اللقاء وما أعقبه كما يستحق .
وعندما احتوتنا المقاعد أمام مائدة الاجتماع ، والتفت الى الأستاذ « مختار » انتظارا لأسئلتى ، كاد الارتباك يستولى على . لولا أن تناولت اقرب سؤال فى جدول الموضوعات وهو الخاص برأيه فى الانتاج الموسيقى المصرى وبخاصة وان له تجربة عملية عندما كان فى زيارته للقاهرة والف « باليه » خصيصا لمصر حصل به على جائزة جمال عبد الناصر الدولية . وقد استرسل بعد طرح سؤالى فى حديث استوعب كل ما كنت قد حضرت من أسئلة .

اولا ، نقول أن الفن العربى هو الفن القديم . فالصلة الثقافية العربية لها الأثر الكبير على باقى الشعوب الاخرى . وفى نفس الوقت فانه استوعب عديدا من الثقافات والفنون الاخرى فى آسيا الوسطى وايران ، كان لها دور فى مدى تاثيره عليها بعد ذلك .

وابتداء من القرن السابع وخلال الفتوحات الكبرى بعد الغزو الاسلامى كان التاثير المتبادل قد بدأ يزداد ، حتى أن العديد من انجازات الثقافة والفن والعلوم فى منطقة آسيا الوسطى عرفت من خلال العرب ، مثل ابن سينا ، لا عن طريق الأوروبيين . فمثل ابن سينا والبيرونى لا يصح ربط — نسبتهما الى بلد محدد لانهما كانا للانسانية جمعاء . وكذلك كان الحال فى الموسيقى .

وعندنا يعتبر شاش مقام بخارى . ولكن اسماء هذه المقامات أصلها عربى ومعناها يأتى من العربى . وتوجد فى مصطلحات — آسيا الوسطى — كثير من المصطلحات اللغوية العربية ، فالتاثير المتبادل قائم بين آسيا الوسطى وبين العرب .

منذ اشهر بعيدة زرت مصر مرتين ، وتجولت مع اصدقائى المصريين . وبمعرفة الصحافة والجهات الرسمية ، وكان لى الشرف ان اكون أول موسيقار يضع باليها مصريا . وقد وجدت هناك تشابها بين الموسيقى فى بلدينا . ولذلك ، عندما يستمع المواطن الأوزبيكى الى اللحن العربى ، ومع المامه وادراكه لمعانى الكلمات ، فانه يستمع اليه كأنه اغنيته هو .

وماذا تقول عن الموسيقى المصرية المعاصرة ؟

اولا ، بعد انتصار الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ أنجز الشعب المصرى الكثير جدا فى مجال الموسيقى .

فعلى مقربة من الاهرام ، وبمبادرة وفكر المرحوم جمال عبد الناصر انشئت مجموعة عظيمة من المدارس والمعاهد الفنية الموسيقية ، مثل فرقة الكونسر فاتوار ومدرسة الباليه العليا والمعهد المسرحى ومعهد السينما ومعهد الموسيقى القومية ، ولو ان الاخير انشىء فى زمن آخر واتحدت كلها فى اكاديمية الفنون وهذا الاهتمام والعناية بالفن الثقافى فى مصر لا يوجد لهما



مثيل فى اى بلد عربى آخر . بل نستطيع القول ، أن بعض بلدان العالم الغربى لا يوجد لديها مثل هذه المؤسسات الفنية المصرية . فعندنا مثلا لا يوجد معهد عال للباليه ، بل يوجد عندنا المعاهد المتوسطة فقط . وبالطبع فان هذه المؤسسات والمعاهد انشئت حديثا . فمعهد الباليه لم يمض عليه أكثر من ١٥ سنة ومع هذا فقد انجز الكثير . فخلال هذه الفترة انجز المعهد العالى للباليه ، دون كيشوت ، وجيزيل ، بخشى سراى ، ودون جوان ، وفرانشيسكو داريمنى ، وغيرها . وقد تخرج من هذا المعهد (الباليه) فنانون لهم اسم لامع ، ليس فى مصر فقط ، بل وفى الاتحاد السوفييتى كذلك ، أمثال عبد المنعم كامل وماجده صالح وغيرهما ، كما أنهم معروفون فى طشقند التى سبق أن قدموا بها حفلات وحققوا نجاحا كبيرا ، كما أن من الواجب أن ننظر بعين التقدير والاعتبار الى ما بذلته السيدة عنايات عزمى رئيسة المعهد فى دعم التقارب الثقافى بين مصر والاتحاد السوفييتى ، والذى تحقق بتنظيمها للعمل المشترك بين فنانى بلدينا ، وهو الشىء الذى لمسته بنفسى .

وليس من قبيل الصدفة أن تحصل على الجائزة الدولية « جواهر لال نهرو » وانى انتهز هذه الفرصة وأرجو أن تنقلوا تحياتى وتهانى وتمنياتى لها بالصحة ومزيد التوفيق .

أما كونسر فاتوار القاهرة ، فهى مؤسسة ـ نسبيا ـ ناشئة ومع ذلك فان خريجيها اشتركوا بنجاح فى عدة مسابقات دولية فى باريس ، وفى موسكو باسم « مسابقة تشايكوفسكى » ولهذا الأمر اهمية كبيرة وهناك كثير من المعاهد المشهورة والكبيرة لا تستطيع ارسال خريجيها الى المسابقات ولهذا يكون هناك اهمية كبيرة لاشتراك المعهد (الكونسر فاتوار) بالقاهرة فى مثل هذه المسابقات بعد أن برهنت على قدرتها ونجاحها العلمى .

ولعدة شهور ، اشتغلت مع أوركسترا القاهرة الهارمونية ، وقدمت فى تلك الفترة عدة حفلات سيمفونية من مؤلفاتى ومن مؤلفات غيرى من

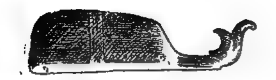
المصريين ، والكلاسيكيين . وبواسطة هذا الاوركسترا حققت وضع موسيقى باليه « دون كيشوت » و « فرانشيشكو داريمنى » و « بخيته » و « الصمود » فى سنة ١٩٧١ ، وقد ادخلت تعديلا عليه بعد ٣٠ يناير ١٩٧٤ وعرض فى قاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة ، وذلك باضافة جزء فى نهايته تسجيلا للحادث التاريخى بالعبور المصرى فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

انا لا اقول هذا تقويما للأوركسترا السيمفونى المصرى ، فقد عملت معه واعرف امكانياته وقدراته ، وكم كنت سعيدا بهذا العمل نظرا لوجود كفاءات موسيقية مشهورة اتيحت لها الفرص فى دورة التدريب على قيادة الاوركسترا .

وانى الآن اذكر قاعة سيد درويش الرائعة ، واود ان اقول أنه لا توجد كثير مثلها فى بعض عواصم العالم . وقد زرت طهران وزرت هناك مسرح الاوبرا المسمى « روداكى » وهناك قاعة كبرى ، ولكن ليست مثل قاعة سيد درويش ، وقل نفس الشيء على الهند ، بالرغم من ان تعداد ايران خمسون مليون نسمة ، فهى ومثلها باكستان او بنجلاديش ليس لدى احداها مسرح اوبرا ، وكذلك اندونيسيا . ومن البلاد العربية لا توجد فى سوريا ولا لبنان دار للأوبرا . فأوبرا القاهرة التى بلغت من العمر ١٠٠ سنة هى اول دار أوبرا عربية وقد افتتحت باوبرا « عايده » التى الفها فردى خصيصا للمناسبة . وكان المفروض الاحتفال عام ١٩٧١ باليوبيل الذهبى لولا حرق المسرح . وقد اصدر الرئيس « أنور السادات » قراره فى اليوم التالى لاعادة بناء مسرح أوبرا جديد ، وانى لمتأكد ان الشعب المصرى يستطيع بناء دار جديدة . وكل ما يدعو للأسف ان من بين ما حرق فى الحادث المخطوط الاصلى لاوبرا عايده الذى ضاع الى الابد ويستحيل استعادة كتابته أو الحصول على بديل له .

لهذا ، فانه ـ ولفترة مؤقته ـ لا يوجد فى مصر مسرح للأوبرا ، ولو ان الحكومة قد قررت اعطاء بديل فى قاعة جامعة القاهرة ، وهو ما يدل على اهتمام الحكومة بالفن .

لقد كان لدى مصر متخصصون فى مسرح الاوبرا بالقاهرة درسوا فى فى معاهد فى الخارج ، مثل ابو بكر خيرت وعزيز شوان وحسن رشيد الذى درس فى ايطاليا ومنذ ثمانى سنوات تقريبا الف انطونيو وكليوباترا ثم توفى ، وقد عزفت مقدمة هذه الاوبرا بمعرفتى وقيادتى (مختار أشرفى) وقد احضرت معى هذه المقدمة الافتتاحية فى برنامج الفيلها رمونية الاوزبيكية وسوف تعزف فى اكتوبر ١٩٧٤ مع مؤلفات أخرى لموسيقيين مصريين معاصرين . وهذه الاوبرا مؤلفة تأليفا جيدا ولكنها تحمل لونا من الاسلوب الايطالى . وللاسف حتى اليوم لا توجد امكانية هذه الاوبرا



فى مصر ، مع أنه يوجد مغنو أوبرا من خريجى معهد القاهــرة القــادرين على أداء التعبير الصالح والمناسب ، وأذكر من بينهم ، من ذوى الصوت البريتونى « جابر البلتاجى » وكان من الممكن الافتخار به فى أى مسرح أوبــرا . وهناك السيدة الشرقاوية ذات الصوت السوبرانو وغيرهما ، وللأسف لا توجد لديهم فرصة عرض قدراتهم الفنية العظيمة فى مسرح الأوبــرا . مــع وجود مثل هؤلاء المشاهير الفنانين كان من الممكن تحقيق تقدم أكثر فى فن مسرح الاوبرا . ومن وجهة نظرى ، أرجو أن تسمح لى بعرض بعض النواقص .

ارى أن من اخطر النواقص عدم وجود توحيد للفرق والادارات . ان أى مسرح اوبرا فى العالم يتكون من أوركسترا ومــن كورال ومن مجموعة مغنين أفراد وراقصى باليه ومستخدمين . وهذا يكون وحدة واحدة . أما فى القاهرة فكل هذه العناصر موجودة ولكنها موزعة ومتفرقة .

أوركسترا الفيلهارمونى فى وزارة الثقافــة لها ادارة خــاصة ، ولكن مغنى الاوبرا الفرديين لديهم الكونسر فاتوار . وفرقة الباليه لديهــا المعهد العالى للباليــه . وأصحــاب الديكور والمستخــدمون والملابس والخدمات لديهم المعهد العالى للباليه . وبدون جمعهم فى مركز واحــد لا يمكن ايجاد الباليه ، وهو رأيى الشخصى الذى بنيته على الخبرة الطويلة .

هؤلاء المسئولون لديهم خبرة وتجارب وتدريب عملى كثير ولكن بدون اتحادهم لا يمكن الوصول الى أى نجاح فى مسرح الاوبرا .

وانى اقدر بشكل كبير فن الفولكلور ، وفى القاهرة توجد هيئة لذلك ، ومع ان هؤلاء المتخصصين متواضعون فانهم يقومون باعمــال جبــارة حيث يقومون بجمع الفن الشعبى الثمين المنتشر بين أفراد الشعب ، وهذا واحد من افضال ثورة يوليو ١٩٥٢ . فعندما يضع الشعب يــده على حضارته وثقافته يصبح قادرا على تحقيق الانجازات العظيمة ، وهى ظاهرة رائعة .

كما أن هناك مجموعة من المؤلفين الموسيقيين ذوى مهارة من مستوى عال . وفى رأيى أنهم فى نشاطهم يقومون بالتوزيع الموسيقى ، ودون أن أقدر على ذكــر الاسمــاء الان ، ففى السنوات الخمس عشرة الاخيرة تطور الفن الموسيقى الخفيف تطورا ملحوظا .

وهناك الفرق الموسيقية الرائعة ذات الاسلوب المحلى الخاص الذى لا يشبه الاسلوب الاوروبى ، وهذا شىء ثمين حقا لأن هذه الفرق فى أساليبها لا تتبع الاساليب القومية التقليدية . وهذه الفــرق عادة تــدور حول مغن أو مغنية .

(والتفت الاستاذ « اشرفى » ليلقى بدعاية عابرة ، حول أن هذه المعلومات تصلح لان تكون محاضرة بالقسم الشرقى هناك فى طشقند ، ثم تابع بعد ذلك) .

ولو أن هناك بعض الفرق التى تعزف الالحان الحديثة ولكن بعد مزجها بذوق اللحن القومى الشعبى .

ومن خلال وجودى فى مصر ، تأكدت شخصيا من العناية الكبيرة التى تبديها وزارة الثقافة للموسيقى ، واستطيع القول انه فى اقرب وقت سوف يحتل الفن الموسيقى بالقاهرة مكانا مرموقا فى العالم .

وبعد ان انتهى الاستاذ « مختار اشرفى » من حديثه ، اخذت أتهيأ للانصراف ، حينما دعانى لان أدون كلمة فى مجلد الكونسر فاتوار ، وما كدت انتهى من ذلك حتى اخذنى من يدى وهو يقول لنا - مع بوريس وناريمان - انه كان يود لو دعانا لتناول الغداء معه لولا ان زوجته متغيبة وانه يرجىء الدعوة لفرصة قريبة ، والى ذلك الحين ، فلنتناول « عيش وملح » هنا . وخرجنا الى الشارع حيث يوجد على الجانب المواجه لمبنى الكونسر فاتوار مطعم وبوفيه من الطراز الحديث وهناك وجدت مائدة لستة اشخاص على جانب من الصالة وقد امتلأت بالاكل والشراب والفواكه . وقال لى الاستاذ « أشرفى » هذا المطعم اسمه « لذة » .

ولاحظت أن معنا على المائدة آخرين ، عرفت بعد ذلك أن من بينهم « احمد عمر يلوف » وكيل الكونسر فاتوار ، وهو فى نفس الوقت عازف على « الشانج » وهى آلة مثل القانون ولكن يتم العزف عليها بالطرق .

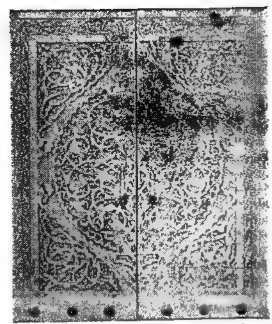
والثانى « صعبى زكيروف » وهو عميد كلية العازفين ومن أمهر عازفى البيانو .

وعندما بدأت الوليمة ، امسك كل واحد بكاسه لشرب أول نخب . واذكر أنه كان « فى صحة العلاقات الثقافية بين بلدينا » فتناولت كوبا وملأتها من زجاجة المياه المعدنية وكذلك فعل الاستاذ « أشرفى » . وبذل الجميع محاولات عدة لكى اشرب من أجود خمورهم فاعتذرت لانى حريص على أن تظل العلاقات بينى وبين امعائىعلاقاتسلمية ، ونظرالاصرارى فانهم وافقوا على مضض ،وكذلك فعل الاستاذ « أشرفى » نظرا لانه مريض بالقلب ومحظور عليه شراب أى نوع من الخمور مهما كانت خفيفة الاثر . وانتهز مضيفى فرصة توقف الحديث والانشغال فى الاكل فروى لى ما حدث فى أيام الخلافة فى بغداد عندما ضبط أحد السكارى وحبسوه . فانه بعد أن افاق من السكر ؛ ابدى تعجبه من معاقبته على تناول الخمر بينما القاضى يسمح بالشراب فى مجلسه كما يشرب هو ايضا . فجاء الجواب من احد العقلاء فى هذه الجملة :

نفذ اوامر القاضى ولا تفعل مثله .

وانه - الاستاذ أشرفى - ياخذ بهذه المقولة ، فالطبيب نهاه عن شراب الخمر رغم انه يشربها .

فى متحف الفنون التشكيلية الشعبية


— باب خشبي بالزخرفة البارزة
الفنان « ا . حايداروف »

هو قصر كبير كان يملكه السفير الروسى « بولوتسوف » . ثم وهبه لغرض اقامة متحف للفن الشعبى . وما تكاد تجتاز البوابة الكبيرة المصنوعة من الحديد المشغول ، حتى تجد حديقة بديعة التنسيق فى نهايتها سلاملك رخامى لبناء قديم الطراز يعلن عن عراقة معمارية من الاسلوب العربى المفعم بالزخارف والنقوش بمادة الفسيفساء والموزاييك المجمل بالالوان والاعمدة الخشبية المشغولة بالزخارف المحفورة ، واينما تلفت تلتقى عيناك بالاشكال الزخرفية البديعة حتى السقف الخشبى . والشىء الملفت للنظر فى هذه الزخارف أن وحداتها تتغير فى تكوينها الواحدة عن الاخرى بالرغم من أن التكوين العام لها يجعلها متوازنة وتكاد ان تتماثل مع بعضها . فحائط الواجهة ـ حيث نافذة من الحديد المشغول بالرسوم والاشكال ـ نرى على يمين النافذة وعن شمالها وحدات متساوية فى المساحة ، ولكنها معالجة فى كل منها بطريقة مختلفة غير متكررة مما يكسبها فنى أكثر .

ومن السلاملك دخلت الى قاعة واسعة للضيوف الزائرين ، وهى من طراز عربى منتشر فى « فرغانة » ويستخدم فى زخارفها رفوف داخل الحوائط مصنوعة من « الجوانش » وهو نوع من الجبس . وفى هذه القاعة ما يصل الى ٢٠٠٠ وحدة زخرفية مختلفة عن بعضها ، وفيها أيضا محراب جميل النقش وللقاعة بابان ، على اسم « دنيا مثال » أى تشبها بالدنيا . باب للميلاد وباب للموت ، أو الدخول والخروج .

والقاعة التالية كانت مخصصة لتعريف الزوار بالفنانين الذين سبقوا ـ

فى الماضى القريب ـ ووضعوا الاسس والتقاليد الفنية القومية ونماذج من انتاجهم الذى تخصصوا فيه . وما يجدر الاشارة اليه ، هو أنه فى القاعة نفسها أربع لوحات لاربع شخصيات من الفنانين الاساتذة فى هذا المضمار الفنى الشعبى ، رسمها نفس الفنانين لبعضهم البعض . اثنان من هؤلاء الاساتذة متخصصان فى تشغيل الجبس ومن رواده الجدد « شيرين مرادوف » و « تاشبولات ارسلان كولوف » وبالمناسبة اسم « أرسلان » معناه بالعربية « أسد » . واثنان احدهما حفار لزخرفة الخشب وحفره هو « عطايا لفانوف » والرابع متخصص فى تكوين الخشب بالزخارف التى تشبه المنمنمات الدقيقة هو « تاج تاها تجايف » .

ومررنا بعد ذلك بقاعة السيراميك القديم ، وهو مصدر غنى للدراسات الفنية المختلفة من جوانب متعددة ، فمنها يمكن التعرف على كثير من المعرفة التاريخية ، ومنها تستكشف العلاقات الثقافية مع مختلف الحضارات المعاصرة لها ، كما تعرف عن طريقها النقط المشتركة بين الذوق القومى وسائر الاذواق الفنية للشعوب التى تعاملت معها والتأثير المتبادل بينها ، هذا الى جانب الطرق الهيئة والتكنيكيه التى استعملت لانتاجها ، ويدخل فى هذا الباب الجانب الكيميائى واستخدام المواد الدابغة فى حرق الطين . وفى هذه القاعة تعرض انواع من الاطباق البديعة التصميم والتكوين ومن مجرد تتبع الاماكن التى اكتشفت بها والازمنة التى صنعت فيها ، يستطيع المرء معرفة خطوات التطور الذى سارت فيها هذه البلاد مع الزمن .

فالاطباق المبططه التى من منطقة « لاجان » والاخرى العميقة من منطقة « باديا » تعطى للمشاهد مؤشرا واضحا فى هذه الناحية . أما أطباق بخارى فان الوانها المتعددة والاكثر اشراقا تشير الى مدى التطور الذى تحقق فى هذه المدينة فى تلك الفترة من الزمن ، وكذلك العمل الذى يسمى « شخرى سابز » ـ ومعناها المدينة الخضراء ـ يؤكد كيف وصلت بخارى الى درجة كبيرة من التطور .

أما السيراميك الذى وجد فى « سمرقند » فيؤكد انه أقدمها عمرا ومن اشهر المتخصصين فى السيراميك الحديث الآن هو الاستاذ « ريحموف »

ومررت فى قاعات عديدة زينت حوائطها بانواع من السجاد البديع فى تصميمه وألوانه ، ويعتبر هذاالنوع من الانتاجالشعبى فىالاتحاد السوفييتى من التراث الفنى الذى لا يسمح باخراجه من البلاد ، وهو صناعة يدوية . والى جانب هذه السجاجيد الرائعة نوع من الانتاج القومى من النسيج اليدوى والمطرز يدوياوتمتاز به هذهالبلاد ، وهى الشيلان (جمع شال) بألوان زاهية متعددة الأذواق وان كانت كلها تشترك فى طابع واحد قومى . وفى قاعة اخرى تعرض داخل فاترينات مجموعة بديعة من الطواقى التى تشتهر بها



تمثال منحوت من الخشب
تشتهر المنطقة باستخــدام
الخشب المنحوت والمزخرف
في إقامة الأعمـدة الطويلة
في المبـاني وفي السقوف

أوزبيكستان . وهي مربعة تماما وتملؤها الزخارف الملونة وكلها صناعة يدوية ولهذا تكون قيمتها أعلى . وكانت آخـر قاعـة بالـدور الأرضي تحتوي على فاترينات بها تماثيل صغيرة أثرية مصنوعـة من الجبس والطين وجـد من بينها تمثال « نصر الدين خوجة » الذي اشتهر في بلادنا باسم جحا .

وفي الدور العلوي وجدت قاعـة كبيرة للآلات الموسيقيـة المختلفة وأكثرها عددا هو « البزق » الى جانب أنواع مـن آلـة « القـانون » وهو شبيه « بالعود » ، وآلات النفخ أهمها « الناي » و « الدفوف » .

والى جانب هذا توجد مجموعة من القفاطين التى كـان يلبسها الاغنياء والحكام وكلها مشغولة بالقصب والذهب والجواهـر المختلفـة والسيوف الثمينة المرصعة بالجواهر .

وهبطنا بعد انتهاء الجولة ، وكان الجو شديد الحرارة . وفى الحديقة ، وتحت شجرة « أم الشعور » كانت عدة مقاعد بسيطة ومريحة فى انتظارنا ، وهنـاك تعرفت بمديـرة المتحف الرقيقـة « سـالمة محمود و فنـا عبد الرزاقوا » وقد أخذت منها بعض المعلومات عن هذا المتحف .

ففى الذكرى العاشرة لتأسيس جمهوريـة أوزبيكستـان ، أى سنة ١٩٣٧ تم تنظيم واقامة معرض للاعمال الفنيـة الشعبيـة ، ثم رئى انشاء متحف للفنون التشكيلية ، واعتبار هذه المعروضات نواة للبداية . ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا المتحف مخصصا للانتاج الشعبى وحده .

سألتنى السيدة « سالمة » عن الفنون الشعبية المثيلة عندنا وهل لها متحف خاص ؟ وقد بدا عليها الجزع عندما قلت له أن مثل هذا المتحف غير موجود عندنا ، ولم يستمر هذا الجـزع طويلا ، بعـد ان عـرفت أن لدينا انواعا من الفنون التشكيلية الشعبية موزعـة بين متحف الفـن الاسلامى ومتحف الفن القبطى وبعض المراكز المتخصصة ، وزال جزعها ليحل نوع من التعبير عن رغبة علمية أصيلة وقـالت ، أرجو أن يجمعهـا قـريبا متحف



تشنجيز أحمروف يستعرض رسومه

واحد ، فالشعب الذى أنتج الفن القبطى هو أيضا الذى أنتج الفن الاسلامى وهو الذى سيظل ينتج ، وتجميع هـذه الفنون فى موضع واحد يزيـد من قيمتها لانه يعلن عن ثراء شعبكم المتواصل وقدرته على التعبير المبدع عن ذاته .

وقد بدا عليها الاهتمام الشديد عندما وصفت لهـا بعض ما يضمه المتحف الاسلامى من الانتاج الفخارى لفوهات أوانى شرب المـاء « القلل » وهى عبارة عن دائرة باتساع حلق الاناء « القلة » وبها ثقوب تسمح بمـرور الماء منها وتتحكم فى تدفقه . وفى المتحف مجموعة من هذا السدادات تصـل الى المئات ، وكل واحدة منها مزخرفة بشكـل مختلف عن غيرهـا ، وكلها زخارف بديعة التصميم تدل على موهبة زخرفية أصيلة .

وقد لاحظت أن الحرارة الشديدة التى كنت اعانى منها منذ قليل قد خفت واصبح الجو اكثـر احتمـالا ، ولعـل السبب فى هـذا هو الشجرة الكبيرة التى تظللنا والمياه التى تنساب حـولنا من اعمـدة رخـامية تصب فى احواض صغيرة فى قمة عامود وتنساب منها الى احواض الزهور والورود .

وعلى الباب الخارجى ودعتنا السيدة « سالمـة » وهى توصينى بابلاغ سلامها الى الذين التقت بهم عند زيارتهم للاتحـاد السوفييتى وصممت على أن أدون أسماءهم حتى لا أنسى ، وظلت تـكرر هـذه الاسمـاء ونحن نأخذ طريقنا مبتعدين :

رسام شعب أوزبكستان / شنخيز أخروف

من أبرز خبراء الرسم فى أوزبكستان – ولد سنة ١٩١٢ – وهو يعمل فى أوزبكستان منذ ١٩٢٧ – بدأ إنتاجه الفنى باشتراكه فى معارض الفنون فى سمرقند وطشقند ومن خلال عمله فى عدة دور للنشر . تعلم فى موسكو فى الفترة من ٣٥ – ١٩٤٢ بمعهد الفنون بموسكو (معهد سوريكوف) . حصل على الدبلوم ثم واصل دراسته العليا وفى عام ١٩٤٩ حصل على الدكتوراه فى الفنون . حصل على الجائزة الأولى للإتحاد السوفيتى بعد أن قام برسم اللوحات الحائطية بمسرح الأوبرا والباليه بطشقند وهو متخصص فى رسم الشخصيات portrait . وقد قام برسم عديد من اللوحات الحائطية المشهورة المعروفة فى عديد من المدن السوفيتية والتى تستخدم فى تزيين عديد من المبانى العامة،الفنادق والمسارح وأنفاق المترو بموسكو . رسم لوحتان عن حياة الشاعر الشرقى المعروف أليشير نافوئى . وهو الآن رئيس قسم الرسم بمعهد طشقند البوليتكنيكى ، ويرأس قسم اللوحات الحائطية بمعهد الفنون المسرحية بطشقند .

الشعار الثابت لمجلة الكاريكاتير الاوزبيكى « موشتوم »



•واضيع النقد الاجتماعى تحتل مكاناً بارزاً فى الكاريكاتير الاوزبيكى ، وفى كثير من الأفكار تعبر عن وضع الأم . . حيث يصرخ الأطفال وهم صغار . وعندما يكبرون تمكس الآية

فى مجلة الكاريكاتيرموشتوم



كنت متحمسا لمقابلة الزملاء فى مجال الكاريكاتير ، لهذا تعمدت ان نذهب قبل موعدنا بساعة تقريبا . وأمام المبنى الذى يضم وزارة الثقافة توجد عدة محال تجارية صغيرة فأخذنا نتفرج على معروضاتها ــ كنوع من اضاعة الوقت حتى يحين الموعد ــ ولكن الداء غلاب ، ففى احدى المكتبات الشعبية لم أستطع مقاومة الاغراء بشراء مجموعتين للفنانين الشعبيين وتاريخ حياتهم ، وكذلك مجلد بالالوان النافرة عن آثار « خيوا » . وفى الموعد المحدد كنا نصعد الدرج الى الدور العلوى حيث وجدنا اثنين فى انتظارنا أمام احد الأبواب . وعلى مائدة اجتماع حافلة بالفاكهة وزجاجات المياه المعدنية تعرفت بالفنانين الحاضرين .

« ابراهيم رحيموف » رئيس التحرير ، و « خاليقوف » الرسام الأول و « شاكروف » رئيس قسم الرسم ، و « قونسكار بيلوف » نائب المحرر ، و « عباس محيى الدينوف » رئيس قسم الحكايات النقدية ، و

« قطب خان نصيروا » عضو هيئـة التحرير ، و « ظاخيدجـان عبيدوف » الشاعر عضو هيئة التحرير .

وكان استقبالهم طيبا « لزميل فى الفن » على حد تعبيرهم . ثم بعدها عرفت قصة المجلة وهى كما حكاها لى الفنانون .

بدات تصدر منذ ٥١ سنة ــ أى قبل اعلان الجمهورية بسنة ــ وتعتبر



رئيس قسم الرســـــــم بالمجلة
ملامح تميل لعاب ريشة الكاريكاتير

من أهم المجلات فى الاتحاد السوفييتى ، كما أنها المجلة الثانيـة للكاريكاتير بعد « الكروكوديل » ــ وقد حـازت « موشتوم » على شهـادة الشرف من المجلس الاعلى للجمهورية فى السنة الماضية بمناسبة مرور خمسين سنـة على اصدارها ، وكوفىء اكثر العاملين بالمجلـة فى نفس المناسبـة بلقب « خادم الثقافة » .

كانت تصدر فى أول الامر ــ ملحقة للجريدة المحلية « قزل أوزبيكستان » ــ وقزل يعنى أحمر ــ ثم بعد ذلك استقلت بـذاتها ، وهى تصـدر نصف شهرية وتطبع كل شهر ٦٠٠ ألف نسخة .

ليس فى المجلة أكثـر من ١٨ موظفـا ، مـن بينهم ١٢ بارتباط كامل ومباشر ، ومن بينهم من خرج من صفوف العمال والفلاحين والمثقفين بالاضافة الى أن للمجلة مراسلين فى الارياف .

وقد اشترك فى تأسيس « موشتوم » عدد من الكلاسيكيين المشاهير مثل



من الموقف فى قبرص

« حمزة حكيم زاده نيـازى » و « عبـد الله قـادرى » و « غـازى يونس » وغيرهم . كما ان ابرز الشعراء والكتاب الاوزبيكيين يساهمون فى تحريرها : ومنهم غفور غلام ـ وهو شاعر شعبى معاصر .

وسألت عن اسم المجلة « موشتوم » ، فالمعتاد فى اختيار اسماء المجلات الكاريكاتيرية فى مختلف انحاء العالم ومنذ ظهورها ، أن كل اسم يحمل معنى معينا . وكانت الاجابة ، أن هذا الاسم معناه « القبضة » قبضة اليد طبعا .

وعن ظاهرة استخدام الشعر فى مجلات الكاريكاتير ، فالشعر المرح ، والناقد باللغة العامية (الزجل) يجد مجالا صالحا له فى حيز صحافة الكاريكاتير . وذلك أن الارتباط بين الكاريكاتير والزجل موجود فى الهدف المشترك وفى أسلوب التعبير . وهدف الاثنين هو نقد الظواهر الاجتماعية التى تناقض التطور الذى يعمل الجميع من أجله ، والتعبير عن هذا النقد بأساليب السخرية والمزاح اللذين يحرصان على التغيير الموضوعى ويعبئان الرأى العام فى طريقه .

وتناولت فى ختام هذا اللقاء موضوع مكتبة الكاريكاتير ، وقد اظهروا اهتماما شديدا عندما ذكرت لهم أن نقابة الصحفيين بالقاهرة قد اخذت قرارا بانشاء هذه المكتبة بها ، وقد اقترحوا على أن أسعى لاقامة اى شكل ممكن من أشكال التعاون وتبادل الخبرة الفنية بين بلدينا .

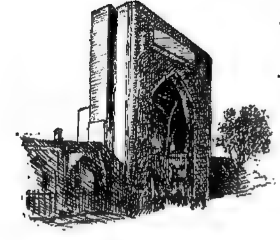
وعندما تهيأنا للانصراف ، قدم الى رئيس التحرير هدية تذكارية لهذه الزيارة ، وهى طاقية وطنية مزركشة مع بضع أعداد من مجلتهم موشتوم .

وعندما اصبحنا خارج المبنى ، وقبل أن نبتعد ، كان وراءنا صياح فتوقفنا لنرى فتاة من المجلة تجرى نحونا وهى تقدم صحبة من الزهور الجميلة . ويعتبر اهداء الزهور رمزا للتقدير والمودة .



بدون تعليق

مع فضيلة الشيخ اسماعيل مخدوم



واجهة من الطراز الاسلامى الاوزبيكى ، عالية الارتفاع عريضة المساحة تتوسطها بوابة ضخمة ، هناك كان موعدنا مع رجال الدين الاسلامى فى المنطقة .

وكان يقف على الباب بضع أشخاص بالملابس الافرنكية وبالملابس التى تميز رجال الدين المسلمين ، واستقبلونا بعد التحية بالترحيب المعهود ثم دخلنا الى قاعة مليئة بدواليب حفظ الكتب حيث تغطى ثلاثة ارباع القاعة . وهناك التقيت بفضيلة الشيخ « اسماعيل مخدوم سابيوف » نائب المفتى .

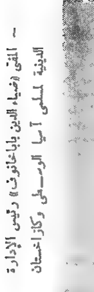
هذا المكان هو الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان وهذه الادارة هى التى تشرف على شئون المسلمين فى خمس من جمهوريات الاتحاد السوفييتى وهى :

تركمانيا واوزبيكستان وقيرغيزنا وكازاخستان وطاجستان . منها ثلاث جمهوريات تحتفل هذا العام بعيد تأسيسها الخمسينى .

وتاملت ملامح فضيلته مليا ، فوجدت الشبه العجيب بينه وبين بعض رجال الدين الذين عرفتهم . نفس الهدوء والامتلاء بالرضى الارادى مع تقدير بثقل المسئولية التى تراها مرتسمة على وجوه كل من يباشرون رعاية وخدمة الناس والسعى فى مصالحهم ، وكنت بين حين وآخر أجرى بالقلم على دفتر الرسم الصغير الذى احمله ، بينما يواصل فضيلته الحديث .

قبل الثورة كانت هذه المنطقة كلها — التى تعرف باسم آسيا الوسطى — مستعمرة قيصرية بكامل المعنى ، اذ كان القيصر ومن يستعملهم فى حكم البلاد ينظرون الى هذه المنطقة على انها ملك خالص للقيصر بغير شريك . ولم تكن القيصرية تبدى ادنى اهتمام برفع رفاهية هذه الشعوب بغير استثناء .





– المفتى (ضياء الدين باباخانوف) رئيس الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان

وكانت اربع من هذه الجمهوريات تتكلم باللهجة التركية ، ولها تاريخ عريق وعتيد فى سجل الحضارة الانسانية كما هو معروف .

اما كيف جاء الاسلام هنا ، ففى سنة ٣٤ هجرية (٦٥٥ م) وفى عهد عثمان ، كان اول دخول الاسلام فى تركمانيا . ثم اخذت مبادئه تتسع تدريجيا ايام كان سعيد بن عثمان حاكما على خراسان (٥٢ هـ ــ ٦٧٣ م) أى بعد ثمانى عشرة سنة ، وبعدها بدا انتشاره يزداد سرعة منذ عهد قتيبة بن مسلم (٦١ هـ ــ ٧٢١ م) الى أن وصل حتى حدود الصين .

واتسعت الابتسامة على وجه فضيلة الشيخ عندما تساءلت عن أثر هذه الادارة فى الرقعة العريضة الهائلة التى تشمل كل الاتحاد السوفييتى . ولبثت هذه الابتسامة الطيبة بضع لحظات قبل أن يجيب .

أن المسلمين اربع أدارات لشئونهم موزعة فى انحاء الاتحاد السوفييتى ، وهذه الادارة احداها .

وتطرق الحديث ــ وكان لا بد أن يتطرق ــ الى العلاقة بين طوائف المسلمين وبين نظام الحكم السوفييتى ، فقال فضيلته .



ـ فضيلة الشيخ « اسماعيل مخدوم
ســــاتيوف » نائب المفتي

ان دستور النظام السوفييتي منــذ وضــع حتى الآن لم يتغير في هذه المسألة . وهو يقضي بفصل الدين عن الحكم ، وترك لاصحابه حرية التصرف الكاملــة في شئونــه ويصرفون أحوالهم كيف يشاءون ـ ولهــذا فــالمسلمون يؤســـون ادارتهم الدينية بالانتخاب ، وتوجد الآن للادارات الأربع أجهزة منتدبة من بين مندوبي المسلمين . وهذه الادارة تضم عشرة أعضاء منتخبين لمدة خمس سنوات ، ومن بينهم رئيس منتخب هو فضيلة المفتي « ضياء الدين باباخوف » ويعاونه في ادارة النشاط نائب ومساعد وبــاقي الأعضاء الذين يتحمل كل واحد منهم مهمة محددة ، في مساحة الجمهوريات الخمس .

هذا هو المستوى المركزي للادارة .

ويوجد في آسيا الوسطى نحو مائتي مسجد وجامع كبير ، وكل واحد منها يعتبر مركزا لجمعية دينية في دائرتها ، يتم انتخــاب اعضائهــا مباشرة

من قبل جماهير المسلمين وبواسطتهـا تشرف الادارة الدينيـة على الحركة الاسلامية .

وتتألف ميزانيات الادارة الدينية ومراكزهـا من تبرعـات المسلمين ، بنفس الاسلوب الذى جرى عليه قديما بالتعاون بين المسلمين هنـا ، والذى مازال معمولا به حتى الان حيث يتبرعون مـن حين لاخـر بالاموال لخزينة الادارة الدينية المركزية أو للمساجد . واذا احتاج المسلمون الى مواد البناء ، فالحكومة تبيع لهم ما يحتاجون منها .

وهذه المراكز يقوم بينها تعاون وثيق وتضـامن فى أمور الـدين ويتم اختيار الائمة والخطباء لهذه المراكز بطريقة ذاتية فى كل دائرة .

كما أن هذه المراكز تتولى اعداد موظفى مدارسها فى بخـارى ، كما أن فى طشقند مدرسة عليا تخرج منها الكثيرون الـذين يعملون الآن فى الخدمة كائمة وخطباء فى المساجد .

ويدخـل فى اختصاص الادارة الـدينية والمراكـز تنظيم الاحتفالات بالمواسم الدينية وشئون الاحوال الشخصيـة مـن نكـاح وطلاق وميراث وصلوات جماعية وكذلك الاعياد والجمعة ، ويسير هـذا النشاط على نظام واضح تماما .

أما حرية الدين والعقيـدة ، فمنصوص عليهـا فى القـانون الاساسى للحكومة ، الذى يضمن ــ بكل دقة ــ المساواة بين جميع المواطنين بصرف النظر عن عقائدهم .

ويتضمن نشاط الادارة الدينية اصدار نشرات دورية ودروسا دينية بانتظام . وقـد طبع القـرآن ثـلاث مرات فى ١٩٥٧ وفى ١٩٦١ وفى ١٩٧١ ووزعته الادارة بين المسلمين فى مختلف المراكز الدينية .

والادارة تصدر مجلة هى « المسلمون فى الشرق السوفييتى » باعتبارها لسان حال المسلمين ، وهى تعكس صورة من واقع حيـاتهم الـراهنة . ويرأس تحريرها الاستاذ « عبد الغنى عبد الله » وهو خريج الجامع الازهر بالقاهرة . والمجلة تطبع بأربع لغات هى الاوزبيكية بالحروف العربية والعربية والانجليزية والفرنسية .

وفى موسم الحج تتولى الادارة الدينية المعاونة فى الاجراءات الرسمية المطلوبة وكافة التجهيزات حتى يتم السفر .

واستطرد فضيلتـه الى جوانب أخـرى فى نشـاط الادارة الدينية بقوله ان الادارة تساهم فى الشئون الاجتماعية مثل توطيد أواصر الصداقة مع البلدان الاسلامية وتبـاشر فى المؤتمرات المختلفـة دعم السلام وتوثيق العلاقـات الطيبـة مـع المسلمين وغير المسلمين ، مثـل تبـادل الزيارات والوسائل والافكار .



— المسلمون فى احتفال بالعيد أقيم فى الإدارة الدينية

ونتيجة لهـذا المنهج توسعت العلاقـات بينهم وبين كـل بلاد العالم وبخاصة حيث يوجد بها مسلمون وتستقبل المنطقة كـل عام وفودا عديدة وتوجه الادارة الدينية الدعوات وتجيب كذلك على ما يصل منها من البلاد الاسلامية . وقد تم اقامة ثلاثة مؤتمرات اسلامية فى طشقند .

وتابع فضيلته الحديث عن الخطوة المقبلة .

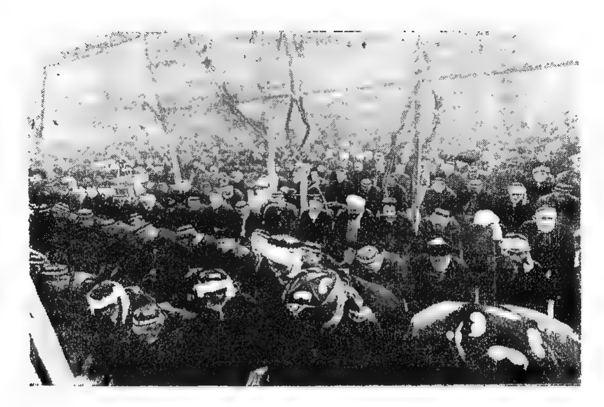
الآن نستعد للقيام بالاحتفال بمرور ١٢٠٠ سنة على مولد « البخارى » وقد وجهنا الدعوة الى ما يقرب من خمسين بلدا من البلاد الاسلامية ، كما سيشترك فى الاحتفال أكثر من مائتين من علماء الاتحاد السوفييتى .

اظن فى هذا ما يكفى للتاكد من أننا نمارس فعلا حرية العقيدة والنشاط الواسع .

وسالت عن رأيه فى المسالة التى تثار بين حين وآخر عن رأى الاسلام فى الرسم والنحت ، وكان هذا الموضوع كان محـل تفكيره منـذ لحظات ، لانه اجاب على الفور :

كان ذلك فى ظروف بداية ظهور الاسلام ، خشية من خطر الارتداد الى عبادة الاوثان التى كان العرب لا يزالون يعيشون فى جوها بحكم العادة على اقـل تقديـر . ولكن ، ما دام هـذا الخطـر قـد زال الى الابد فلا داعى للاستمرار .

لقد شاهدت عددا من المتاحف المسيحيـة والكنـائس ورأيت فيها رسوما بديعة عن المسيحيين القدماء ، وشاهدت كيف تقدم هـذه الاعمـال الفنية الرائعة خدمات عالية للبشرية وللمثل العليا يعجـز القلم عن أدائها بنفس التاثير ، وبخاصة بين الذين لا يعرفون القـراءة والكتابـة فضلا عن



— صلاة « الغالب » ويطلقون عليها اسم « أمهسازة بيرام »
وفيه تكرم ذكرى الراحلين بأداء صلاة الجمعة فى المسجد ويرتبط
بمناسبات احتفالات الزفاف عادة فى مدينة « أنديجان »

الذين لا يعرفون اللغة المدونة . ولعلى أكون معبرا أكثر اذا أشرت الى ما تضمنه كتاب الاستاذ على عثمان حول دور الفنون فى كتابه « الدين الاسلامى والتطور » فقد قرات فيه احاطة تامة بالموضوع .

وبينما كنا نغادر الحجرة ، قال فضيلة الشيخ لقد تسلمت اعدادا وصلت الى من مجلة « روز اليوسف » وهى التى نشرت بها عدة مقالات للشيخ « الفحام » شيخ الاسلام المصرى عند زيارته لطشقند فى سبتمبر ١٩٧١ .

وأمام المدخل الكبير أشار البعض الى مبنى يواجهنا حيث توجد مكتبة اسلامية هامة وهى ملحقة بجامع اثرى أقيم سنة ١٥٣٢ بناه امير طشقند وقتها « براق خان » ثم تغير اسمه الى « نوروز أحمد خان » بعد ذلك . كما أن الامير « براق » هذا بنى سنة ١٥٤٢ ضريحا على قبر الامام « ابى بكر القفال » وهو عالم كبير من علماء الشافعية توفى (٩٥٠ م — ٣٦٥ هـ) .

وذهبنا الى هناك .

ورأيت — بعد اجتياز البوابة الكبيرة وسط سور مرتفع — أرضا واسعة اقيم فيها الجامع الكبير وامامه بناء آخر اصغر يضم « مكتبة



— مدير مكتبة الإدارة الدينية فى طشقند « تورات يوتروسوف » يفحص مع أحد المسلمين نسخة « المصحف العثمانى » المشهور

الجامع » وبعد خطوات داخل هذا المبنى الصغير ، احسست كأنى انتقل الى الماضى ، فكل شىء يوحى بالقدم ، من سجاد الأرض الى نقوش السقف الخشبى مرورا بما بينهما من دواليب ومقاعد ومناضد . ودخلت قاعة كبيرة تغطى جميع جدرانها بدواليب ورفوف مكتظة بالوف من المجلدات المنسقة والمرتبة على أساس علمى وتضم هذه المكتبة ٢٥٠٠٠ مجلد منها ٢٠٠٠ مجلد مخطوط ومقام فى جانب منها فاترينة خشبية مغطاة بالزجاج تعرض داخلها عشرات من المخطوطات القديمة ، وكل مخطوط منها له تاريخ . ونظرت الى اعلى فوجدت شرفة تدور مع الجدران الاربعة وتعتبر طابقا

ثانيا للمكتبة يؤدى اليها درج خشبى فى جانب من القاعة ، حيث احتشدت بالدواليب التى تضم آلافا أخرى من الكتب . وفى وسط هذه القاعة وضعت منضدة مبسوط عليها مجلد كبير ، وهام فى نفس الوقت ، هو مصحف عثمان الذى قامت حوله أزمة شديدة فى عهد القيصرية . وهذا المصحف يرجع تاريخه إلى الف سنة مضت ، وقد نقله القيصر من هنا قبل مائة عام الى بطرسبرج (لينينجراد الآن) حيث احتفظ به فى مكتبة بطرسبرج الملكية هناك . وثار المسلمون فى آسيا الوسطى مطالبين بهذا المصحف ، وبالطبع لم يكترث القيصر لهذه المطالبة معتمدا على قدرته فى قهر الشعوب التى يسيطر عليها استعماره . وجاءت الثورة سنة ١٩١٧ وعلى الفور أصدر لينين قراره باعادة المصحف الى أهله ، وقد كان .

وشاهدت مطبوعا حديثا ، وعلمت من امين المكتبة انه مطبوع فى سنة ١٩٧٠ وأن طباعة الكتب والمراجع التاريخية النفيسة ــ عمل مستمر ــ وهذا الكتاب اسمه « كتاب الادب المفرد » وهو يجمع الاحاديث النبوية بنظام الأبواب مثل باب بر الأم ، وبر الأب ، وبر الوالدين وان ظلما ، وباب ألم قاطع الرحم ، وباب من كره أن يتمنى موت البنات ، وهو من مؤلفات الامام البخارى . وعندما ابديت اعجابى به ، قدمه الى امين المكتبة هدية للمناسبة . كما قدم إلى كتيبا مطبوعا عن « تاريخ المصحف العثمانى فى طشقند » من تاليف الشيخ أسماعيل مخدوم نائب المفتى .

وبعد ان ودعنا امين المكتبة انصرفنا ، وكنت أود وانا اخرج أن القى نظرة على المكان قبل مغادرته فاستدرت وانا أمشى لأرى أمين المكتبة وقد عاد الى جلسته الأولى داخل الباب وقد انكفأ على كتاب امامه يطالعه باستغراق .





فى اتحاد نقابات العمال

- « نعيمـــا محمدوفـــــا »

سكرتيرة اتحــاد نقابات العمال الاوزبيكية

اذا بحثت عن مركز الثقل بين التنظيمات المختلفة فى أوزبيكستان ، فسوف تجد ان هذا الاتحاد هو صــاحب النفوذ الأول ، فهو يضـم ـ طبقا لآخر احصاء ـ ما يقرب من ثلاثة ملايين عامل ، وهو جزء من الاتحــاد العام لنقابات العمال السوفييتية .

وليس مــن شك فى أن وجــود صناعــة يعنى بالضرورة وجـود عمال مدربين ونظام فعال يتيح لهم كل الامكانيات بالارتفاع بمستوى الانتاج ويوفر لهم كافة الضمانات والحوافز .

وفى لقاء مع السيدة « نعيما محمدوفا » سكرتيرة الاتحــاد ، امكننى الحصول على صورة تحيط بوضع العمال وبالدور الـذى يلعبـه الاتحاد فى خطة التنمية .

فهو يضم جميع فروع النقابات بالجمهوريـة . ويعتبــر المؤتمر العام السلطة العليا فى الاتحاد ، وقد عقد آخر مؤتمر منـذ أربـع سنوات ، وهو يضم مندوبين لفروع النقابات على أساس عدد النقابيين بواقع مندوب واحد عن كل أربعة آلاف نقابى . وفى المؤتمر ينتخب مجلس رئاسة يضم ١٥ عضوا يختار منهم رئيس وثلاثة سكرتيرين منهم سكرتير من العمـــال غير المتفرغين للعمــل النقابى ويبــاشر عملـه الاســاسى فى الاتحــاد ويعتبر نائبا للرئيس ، والباقون متفرغون للعمل النقابى . ويضم لمجلس الرئاسة ثلاثة عمال ووزير شئون الخدمات العامة ووزير الشئون الاجتماعيــة ونـائب ادارة تخطيط الدولة .

والاتحاد مثل كل الاتحادات السوفييتية يقوم على اساس التقسيم الى لجان مناطق أو ولايات ، ولجان فرعية . والملايين الثلاثة من العمال منظمون فى ثلاثين الف وحدة نقابية . والاتحاد يعمل بموجب ميثاق موحد لجميع الاتحادات السوفييتية وتتم مراجعته فى كل مؤتمر ، كما حدث فى آخر مؤتمر ١٩٧٢ عندما ادخلت عليه بعض التغييرات فى التنظيم الداخلى مثل مهام المناطق .

وبموجب هذا الميثاق تباشر النقابات ـ باعتبارها منظمات اجتماعية ودولية ـ مراقبة تنفيذ جميع التخطيطات فى حياة الجمهورية ، مع مواصلة التعاون التام مع المنظمات الدولية .

ولضمان سير التعاون يوجد بين أعضاء المؤتمر وزراء ورجال دولة ، وهؤلاء عليهم متابعةومراقبة التنفيذ ، وهذا هونفس الوضع من اعلى مستوى الى مستوى القاعدة النقابية فىالمصانع والمعامل . كمايعمل رجال النقابة فى المؤسسات الحكومية ، مثل مجلس السوفييت الاعلى . ويدخل رؤساء اللجان الفرعية المحلية فى مجلس ادارة اتحاد النقابات الاوزبيكية .

ورؤساء المنظمات النقابية بالمصانع يدخلون فى ادارات هذه المصانع .

ان اى مشكلة بالمصنع لا يمكن حلها بغير موافقة ثلاث جهات . ادارة المصنع ، والنقابة ، والحزب الذى يشترك فى عملية الانتاج ابتداء من التخطيط الى آخر مراحل التنفيذ فى المصانع .

ويشترك رئيس النقابة فى وضع الاتفاقات بين الادارة والنقابة .

وتباشر النقابات الاشتراك فى تنظيم المسابقات الاشتراكية وفى دراسة وتوزيع الخبرات المتطورة . وتساهم النقابة ماديا وادبيا فى تشجيع اعضائها بطرق فعالة سواء فى تحديد الرواتب أو الحوافز المختلفة . لهذا فان الدور الذى تؤديه النقابات دور كبير فى تشجيع واحتضان الابداعات التى يساهم بها العمال فى تطوير عملهم .

هذا بالنسبة لمساهمة النقابات فى أعمال الدولة والانتاج .

والمهمة الثانية للنقابة ، هى رعاية العمل ووقاية العمال ، ولهذا يوجد مفتشون فنيون يتولون مهام حكومية ولكن يعملون حسب خطة النقابة ، ابتداء من مشاريع المؤسسات حتى الانتهاء من الانتاج ، وفى سلطتهم اغلاق أى مؤسسة انتاجية ـ عندما يكون هناك مبرر مثل وجود خلاف على قواعد العمل وكذلك تقرير عقاب مادى على أى مؤسسة ، كما يدخل فى سلطتهم تقديم قرار الى السلطة العليا بعدم اقتناعهم بكفاءة رئيس اى مؤسسة انتاجية .

والمهمة الثالثة ، هى حماية صحة وراحة العمال وعائلاتهم . ولهذا الغرض توجد لجميع المؤسسات والمصانع أماكن عديدة مخصصة للاستراحة كما تقام معسكرات للاطفال ، وهى تدخل ضمن بنود ميزانية الحكومة للتامين الاجتماعى الذى وصل الى ٣٠٠ مليون روبل سنويا

للجمهورية حسب آخر مستوى . والعامل لا يدفع شيئا لصندوق التامينات الاجتماعية ، ومن هذا الاعتماد يصرف على تسديد نفقات العلاج كما ينفق على النساء فى حالات الحمل وتكاليف الراحة الجزئية والكاملة وتكاليف الانتقال للراحة كذلك الاطفال فى معسكرات الرواد والأكل المناسب الذى يقرر للمريض والتكاليف اللازمة فى حالات الولادة ولدفن الموتى .

والمهمة الرابعة ، هى تربية النقابيين ، أخذا بقول « لينين » — أن النقابة هى مدرسة الشيوعيين — ولهذا الغرض توجد مؤسسات متعددة مثل دور الثقافة والنوادى والمراكز والزوايا وأماكن التعبئة الثقافية كالمكتبات والمراكز السينمائية ، وفى المكتبات تلقى محاضرات وتعرض أفلام وتؤلف الفرق الفنية للهواة ، وهى الآن تصل الى عشرة الاف فرقة تضم ٢٠٠ الف نقابى . هذا الى جانب الاهتمام بالرياضة وقد وصل اعضاء جمعياتها الى ١٠٠ الف رياضى .

والمهمة الخامسة ، هى متابعة الحياة اليومية لعائلات العمال واحتياجاتها المعيشية من مساكن ومطاعم عامة .

الى جانب هذه المهام ، توجد مهام أخرى ، كما فى العلاقات الخارجية حيث تتولى ايفاد الوفود والبعثات السياحية واستقبال مثيلاتها من الخارج .

وتوجد ميزانية خاصة نقابية تبلغ ٣٤ مليون روبل تأتى من اشتراكات الاعضاء بمعدل ٨ ٪ من مرتب كل عامل نقابى ، وتوزع على نفقات الادارة ، ونفقات النشاط الثقافى والرياضى والبعثات والوفود — من والى — الجمهورية ، ولا يدخل فى ذلك التامينات على العمل .

ويباشر الحزب الشيوعى الاشراف القيادى للاتحاد .

وقد اشترك الاتحاد فى المؤتمر الدولى لحماية النساء ببراغ ١٩٧٢ ؛ وفى طشقند ١٩٧٢ عقد مؤتمر عالمى اشتركت فيه ثمانى دول وفى ١٩٤٣ اشترك فى مؤتمر النقابات الدولية فى « فارنا » وفى سبتمبر من هذا العام (١٩٧٤) سيشترك الاتحاد فى الدورة الدولية لتنظيم العمل الدولى (MOT) ، وكذلك فى المؤتمر الدولى الذى سوف يعقد باليابان سيوفد الاتحاد ممثلا له من بين رؤساء النقابات المحلية .

ما اثر كل هذا على الصناعة فى أوزبيكستان ؟

فلنتذكر كيف كان حال الصناعة قبل الثورة ، لكى نرى صورة صحيحة للجهود التى بذلت فى اقامة الصناعة الحديثة ، ولا باس من استعادة ذكرها الآن .

كان نصيب الصناعات اليدوية والزراعية من مجمل الانتاج الاجتماعى ٩ ٪ ولم تكن توجد أى صناعة كيمائية ولانسيجية ولا تعدينية ولا بناء آلات ولا صناعة الطاقة . أما نصيب الصناعة الثقيلة فكان ٢ ٪ من الانتاج

الصناعى . وكانت نسبة العمال الصناعيين تمثل ١ ٪ من مجموع الشغيلة .

وقد اعتمد فى التخطيط الاولى أن يوضع فى الاعتبار القطن كاساس من خصائص الانتاج الأوزبيكى . واتجه الاهتمام الى وضع استراتيجية عامة تقوم على :

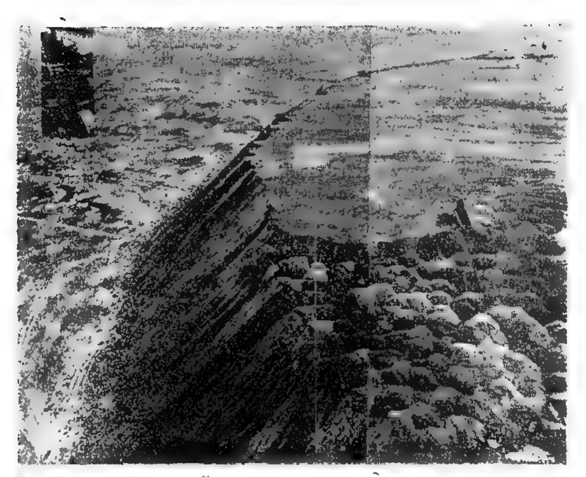
اقامة منشآت للطاقة ، ومؤسسات للمكائن والآلات الزراعية ، والأسمدة الكيماوية ، ثم تكنيك وأجهزة الرى ، ثم معامل النسيج والمواد الغذائية . . وغيرها .

الا أن كل هذا المخطط يحتاج ـ لبدء التنفيذ ـ ايجاد المصانع ، واعداد الكوادر الصناعيين المدربين . ولم يكن فى أوزبيكستان منها شيء على الاطلاق . وقد حلت مسألة المصانع باجراءات فورية ، فمنذ صيف ١٩٢٠ وصلت الى أوزبيكستان الأجهزة والآلات من الاتحاد الروسى لتجديد الأرصدة الاساسية لمؤسسات غزل ولف الحرير بمنطقتى « مرغانه » و « مايمنيلان » ، وفى ١٩٢٢ نقلت من المناطق المركزية معامل النسيج والورق والاحذية والصابون والسليلوز ، ومن مدينة « ريئوتوفو » بمقاطعة موسكو ، نقلت فابريقة الغزل والنسيج التى سميت بعد ذلك « كراسنى فوسترك » ، كما نقل أيضا معمل النسيج فى « زارايسك » الذى كان اكبر مؤسسة فى مقاطعة ريازان » .

الا أن مشكلة اعداد الكوادر الصناعيين ظلت قائمة . فليس من الممكن نقل العمال من الجمهوريات الأخرى فى الاتحاد السوفييتى للعمل فى أوزبيكستان بينما مصانعهم فى حاجة اليهم ، ذلك لان الظروف السيئة للغاية التى مرت بها الصناعة فى الاتحاد السوفييتى بعد أن خربت حروب التدخل معظم المصانع طيلة ثلاث سنوات قاسية . ويزيد من صعوبة المشكلة انتشار الامية التى جعلت عملية اعداد العمال وتدريبهم مضاعفة الصعوبة . ويضاف الى هذا وضع المراة والتى كان من الضرورى العمل على تحريرها من قيود العبودية الماضية ومهانتها ، ثم جذبها الى العمل الاجتماعى الانتاجى . لهذا تكلفت حملة محو الامية ميزانيات واموالا كبيرة وصلت الى حد تخصيص خمس ميزانية الجمهورية لهذا الغرض طيلة سنوات التصنيع . كما نظم من أجل تحرير المرأة نضال عنيد وصبور ضد التقاليد البالية والمعوقة وعلى مدار سنين طويلة حتى تم تدريجيا كسب المرأة فى صف العمل الصناعى .

وقد تم اعداد الكوادر الصناعية بعدة طرق ، منها التعليم والاعداد الفردى ، ومنها الاعداد عن طريق الحلقات ، وكذلك التعليم فى مدارس المعامل والمصانع ، وايضا اجراء الدورات التدريبية المختلفة ، والتحضير فى مدارس المهن الجماهيرية ، وغيرها من الاشكال المناسبة لكل حالة .

ومن خلال الدورات التدريبية فى المراكز الصناعية تم التوصل الى



تحتل صحراء « قزل قوم » – ومعناها « الرمال الحمراء » – مساحة واسعة من اوزبيكستان . وقد تبين ان هذه الرمال الحمراء ليست الا رمالا ذهبية. وقد ثبت ان الذهب ممتزج بمعادن أخرى ، وتوصل الخبراء الى استخلاص الذهب بوسائل حديثة . وفى هذه الصورة يرتفع على أرض هذه الصحراء جبل صناعى للخامات المحتوية على الذهب وتبدو السيارات الضخمة تصب محتوياتها الثمينة .

رفع مستوى كفاءة العمال الصناعيين وكانت النتائج طيبة . وقد ساهم فى تحقيق هذه النتائج الكوادر العمالية الروسية مما اكسب عمال أوزبكستان خبرة اضافية فى العمل التنظيمى الى جانب ارتفاع مستوى الانتاج التكنيكى .

ويكفى القاء نظرة على الارقام لنرى الدليل المقنع .

من سنة ١٩٢٦ وحتى ١٩٣٩ ، زاد عدد العمال بالاقتصاد الوطنى اربع مرات ، وزادت الصناعة ٣ر١١ مرة وزاد عدد المهندسين والعاملين بالاقتصاد الوطنى سبع مرات ، وارتفعت نسبة المشتغلين بالعمل الفكرى من ٥ر٣ ٪ الى ٨١ر١٩ ٪ .

وقبل الخطة الخمسية الاولى (١٩٢٨ ــ ١٩٣٢) كان عدد المهندسين والفنيين ٥٧٤ ، وفى نهايتها كان عدد المهندسين والفنيين ٢٤٤٣ ، باضافة ١٩٢ مؤسسة صناعية جديدة ، وفى نهاية الخطة الخمسية الثانية (١٩٣٣ ــ ١٩٣٨) وصل عدد المؤسسات الجديدة المضافة ١٨٩ مؤسسة ، ووصل نصيب القطاع الاشتراكى ٩٩ر٥ ٪ من الانتاج الصناعى .

وفى الخطة الثالثة (١٩٣٩ ــ ١٩٤١) وهى التى اختصرت بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ، اضيفت ٣٤ مؤسسة صناعية جديدة فقط .

أما فى ناحية اعداد العمال وتدريبهم فنجد انه فى سنة .

١٩٣٩ كان من بين كل ١٠٠٠ شخص عامل بالاقتصاد الوطنى ٦١ من ذوى التعليم العالى والمتوسط المهنى .

١٩٦٢ تعلم ١٠٠٠ عامل ومستخدم مهنا واختصاصات جديدة .

١٩٧٣ تخرج ٨٠٠٠ اخصائى (مهندس صناعى وبناء ونقل ومواصلات) .

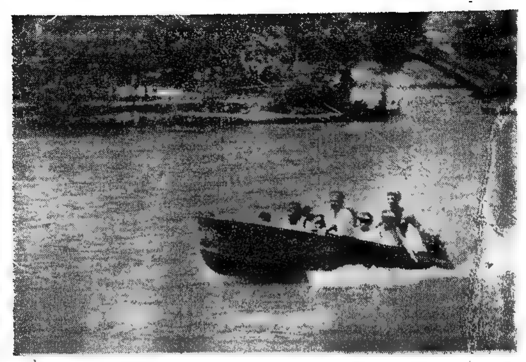
١٩٧٣ تعلم ٥٠٠ الف عن طريق التعليم الفردى والحلقات والدورات التدريبية .

١٩٧٣ تم اعداد ٦٠ الفا من العمال والشبان الاكفاء .

وقد ازدادت ودعمت الامكانيات المالية لاوزبيكستان تبعا لمقاييس وعمق التحولات الاجتماعية بصورة كبيرة ، فقد كانت حصة المؤسسات فى الدخل القومى سنة ١٩٢٥ ٩ر٤ ٪ زادت فى ١٩٣٧ الى ٩٩ر٢ ٪ وهى تساوى ٣٢٢ مليون روبل سنة ١٩٢٥ ارتفعت الى ٢٠٤٥ر٩ روبل سنة ١٩٣٧ أما الانتاج الصناعى فقد زاد ٢٢٨ مرة منذ خمسين سنة .

وكان من أثر مضاعفة منسوب التطور الاجتماعى ان انشئت مدن حديثة جديدة لم تكن من قبل مثل « الغيرين » و « تشيرتشيك » و « المالیك » و « بيك آباد » و « نوائى » و « زارافشاى » و « غزلى » و « تاخيياتاس » و « كونغراد » وغيرها . وكانت النتيجة أن تحولت أوزبيكستان من جمهورية التخلف الى جمهورية الطاقة وصناعة بناء الالات متعددة الفروع ، ونمت فيها صناعات التعدين والذهب والهندسة الكهربائية وبناء الطائرات والصناعات الاليكترونية بالاضافة الى صناعة بناء قوية . أن اكثر من ١٠٠ فرع انتاجى صناعى يضم ١٣٠٠ مؤسسة كبيرة هى الرصيد الفعلى الموجود الآن هناك وقد تضاعف انتاجها ١٦٠ مرة .

ويحتل القطن المكانة الاولى زراعة وحلجا . وتحتل المكانة الثالثة الانسجة الحريرية (الحرير الطبيعى) وفى المكانة الرابعة تتربع صناعة الاقمشة القطنية والاسمدة المعدنية والطاقة الكهربية والاسمنت بالنسبة للانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفييتى . وهذا الانتاج الصناعى يصدر الى اكثر من ٧٠ دولة ويتزايد الطلب على القطن والحفارات والجرارات ومحطات



— بحيرة « الكومسومول » فى طشقند واسمها « راحة طشقند »

الفسخ والجلاخات ومنتوجات الراديو والكهرباء والمكائن الزراعية والادوات الصلبة القاطعة والادوية والعقاقير .. وغيرها .

ما أثر كل هذا على مستوى المعيشة ؟

كان دخل الاسرة فى سنة ١٩٢١ يتكون من أجور العمال ٢٨ر٦ ٪ ومن بقايا مدخرات وبيع اشياء ٤٨ر٤ ٪ ومن واردات أخرى مختلفة ٢٣ ٪ .

أما الان فان أجرة عمل الاسرة تشكل ٨٠ ٪ من دخلها و ٢٠ ٪ أرصدة الاستهلاك الاجتماعية وغيرها .

ان متوسط أجر العامل سنة ١٩٧٢ وصل الى ١٢٠ر٦ روبلا شهريا (الروبل يساوى خمسين قرشا مصريا تقريبا) وقد ارتفع فى عام ١٩٧٣ الى ١٢٧ روبلا شهريا .

كما زادت المنح والاعفاءات من رصيد الاستهلاك الاجتماعى — فى ١٩٧٣ بنسبة ٧ ٪ عن السنة السابقة ، منها الحصول على مجانية التعليم بكل مراحله ، ورواتب التقاعد والاعانات والمساعدات الطبية ، واعانات الحمل والوضع التى تساوى أجور العمل بدون التقيد بمدة الخدمة .

وفى ١٩٧٣ زادت مخصصات التغذية فى المدارس المهنية والتكنية عن سنة ١٩٧٢ من ٢١١ روبلا الى ٢١٨ روبلا للفرد .

وقد زادت فى السنوات الاخيرة دخول العمال الحقيقية بنسبة ٣ ٪ .



يوسف جان

ممثل معروف فى المسرح الشعبى الاوزبكى واسمه يوسف جان شكر جان . ولد عام ١٨٦٨ فى مدينة مارجيلان . ومنذ شبابه كان يحب الفن وكان يعيش فى وادى فرغانة فى هذه الايام ممثل كبير ومخرج للمسرحيات الشعبية يسمى سهدى مخصوم . وكان فى البداية راقصا ثم موسيقارا ثم فكاهيا . وفى ايام الحرب الاهلية كان يشتغل فى فرقة الدعاية المسرحية ، وعرضت هذه الفرقة مسرحيات على الشعب حول قضايا الثورة الملحة . وفى عام ١٩٢٦ ساعد فى تكوين فرقة الفن من مجموعة شعوب منطقة آسيا الوسطى . وهناك أسطوانات مسجلة بصوته ويستخدمها طلاب الفن لدراسة الفن الشعبى الاوزبكى . وقد توفى عام ١٩٥٩ فى مارجيلان .



المغنى الأوزبكستانى / خوجه عبد العزيز

ولد فى سمرقند فى ١٨٥٥ وكان يمارس الغناء منذ طفولته – وقد اعتنى به منذ خطواته الأولى مجموعة من المنشدين الذين اشتهروا بحفظ الأغانى وروايتها جيل بعد جيل. وعندما بلغ العشرين من عمره أصبح مغنيا وموسيقارا له شهرته فى سمرقند. كان متخصصا فى انواع معينة من الغناء. وفى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سافر إلى الخارج وحضر إلى مصر وسافر إلى الهند وإيران وافغانستان. وبعد تجواله فى هذه البلدان كتب عددا من الأغانى مثل «الجزائر» مستفيدا من الأغانى الشعبية البلدان التى زارها.





رسام الشعب الأوزبكستانى / عبد الحق عبد اللاييف :

ولد بمدينة تركستان ١٩١٨ – تعلم فى إحدى مدارس العمال بطشقند حيث أكتشف أساتذته استعداداته الفنية – منذ عام ٣١ بدأ دراسته بمعهد الفنون بسمرقند وإن كانت شهرته قد بدأت فى الذيوع منذ عام ٣٤ . وفى سنة ٤٦ رسم لوحة للممثل خيدو ياتوف لعبت دورها فى اكتمال شهرته على نطاق البلاد ككل . قام برسم عديد من اللوحات للممثلين والمخرجين ومشاهير العمال وزراع القطن والكتاب . عرضت عديد من لوحاته خارج البلاد ويحتفظ ببعضها فى عدد من المتاحف السوفيتية وهو مولع برسم اللوحات المستمدة من موضوع حياة الشاعر الشهير فافولى وهو متخصص فى رسم الشخصيات



عيد القطن

(حفر على الخشب للفنان « ف . بلشادروف »)

مع الرفيق عبداللايف عبدالنبى

عضو مجلس الادارة لوزارة الزراعة

كان هذا اللقاء بحضور اربعة من المسئولين بالوزارة ، هم :

« عبد الوفيق كريموف كريموفتش » مدير الادارة للشئون الخارجية .

« واليخان صديقوف صديقوفيتش » رئيس ادارة التخطيط والاقتصاد بالوزارة .

« ايسايف رحيم سعيدوفيتش » رئيس ادارة زراعة القطن والمحاصيل الاقتصادية .

« باجاسيان سليمان يوسوبوفيتش » رئيس قسم ادارة الكولخوزات .

القطن هو عماد الانتاج الزراعى من قبل الثورة ، حيث كان يستخدم فى تزويد الصناعات القيصرية الخفيفة بالمواد الخام . وكان ثلثا الاراضى الصالحة للزراعة فى يد الاقطاعيين والبيكوات اغنياء الريف ، وفى نفس الوقت كان بيدهم أيضا ثلثا مصادر المياه . والى جانب هذه القلة . كان يعيش مليون ومائتا الف عائلة من المزارعين لا يملكون من الأرض شبرا واحد . فقط يعملون فيها . وكانت وسائل العمل بدائية للغاية ، فهى لا تزيد فى اغلب الاحيان عن الفأس والمحراث الخشبى العتيق ، ولم يكن انتاج القطن يتجاوز ما بين ٤٠٠ الف و ٥٠٠ الف طن بأى حال ، فالهكتار الواحد من الارض لم يكن ينتج أكثر من ٩٠٠ كيلو فقط من القطن ، أو ما يعادل طنا واحدا . هذه هى حال الزراعة فيما قبل الثورة ، ويضاف الى ذلك أن الحرب الامبريالية الاولى التى اشتعلت سنة ١٩١٤ ، وما تلاها من حرب أهلية ، كانت لها اثار واسعة فى استمرار الوضع المتأخر لبضع سنوات بعد ذلك .

وبقيام الثورة وضع أمام السلطة السوفييتية ــ كمهمة عاجلة ــ انشاء فورى للزراعة الحديثة وبخاصة فى مجال القطن بمنطقة « تركستان » باعتبار ان هذا المحصول مهم ومطلوب عاجل ، كالهواء للانسان ، لتزويد صناعات الغزل والنسيج وغيرها من الصناعات الاستهلاكية الخفيفة . وفى ١٧ مارس ١٩١٨ نشر القرار الذى اصدره « لينين » باعتماد خمسين مليون روبل لاعادة انشاء وتطوير شبكات الرى هناك ، وبخاصة فى الحقول « الجائعة » وقدمت تسهيلات عديدة للفلاحين المشتغلين بزراعة القطن ، من قروض وبذور وأيضا من الالات الزراعية المتاحة .

وفى ١٩٢٣ أمكن الارتفاع بمستوى الزراعة فبلغ الانتاج سبعة أضعاف ما كان عليه فى عام ١٩١٣ ، وفى ١٩٢٦ زاد ٢٢ الف طن عن انتاج ١٩٢٣ ، وفى ١٩٣١ وصلت مساحة الارض الزراعية مليون هكتار ــ وهى مرحلة تاسيس وهذا يعنى ان مساحة الارض المزروعة اتسعت الى ضعف حجمها قبل الحرب .

من اين جاء هذا التطور السريع فى زراعة القطن ؟

كان التوسع فى انشاء المزارع الجماعية « الكولخوزات » هو العامل الرئيسى لسرعة النمو هذه . فالعلاقات الزراعية الصغيرة كان تجميعها فى هذه المزارع الجماعية المنظمة يكسبها قوة انتاجية أكبر من حالتها وهى متفرقة مبعثرة ، وحتى سنة ١٩٣١ كان قد تم توحيد ٩٠ ٪ من هؤلاء المزارعين فى كولخوزات . وبهذا امكن توفير الالات الزراعية المتطورة من المحاريث الميكانيكية وآلات الجر والبذر .

وفى ١٩٣٢ وضعت المهمة لاستقلال السياسة القطنية والوصول الى الاكتفاء الذاتى وعدم استيراد القطن من الخارج ، وذلك بوصول الانتاج الى ٨٠٠ الف طن سنويا .

واتخذت عملية تطوير زراعة القطن مسارها بعد ذلك ، ففى ١٩٣٦ وصل الانتاج الى مليون ونصف مليون طن سنويا ، وفى ١٩٥٠ وصل الى مليونى طن بمعدل طنين و ١٠٠ كيلو فى الهكتار الواحد ، وفى ١٩٥٨ ارتفع الى ثلاثة ملايين طن سنويا . وفى ١٩٦٥ لاول مرة فى تاريخ زراعة القطن نفذ البرنامج مرتبطا بشهر أكتوبر ، ثم تحول بعد ذلك الى شهر مارس لعدم توافر آلات الحصد فزاد الانتاج عن معدله (٣ ملايين طن) الى ثلاثة ملايين و ٦٠٠ الف طن فى السنة . وفى ١٩٦٦ وصل الانتاج الى أربعة ملايين طن ، بمعدل طنين ونصف الطن من الهكتار الواحد ، وهو ما يزيد عن انتاج ١٩١٣ بطن واحد سنويا بالنسبة للهكتار . وسنة ١٩٧٢ كانت سنة وفيرة للمحصول ، فالارض كانت مساحتها المزروعة مليونا و ٦٨١ الف هكتار ، وارتفع انتاج الهكتار الواحد الى طنين و ٨٠٠ كيلو ، وكان اجمالى المحصول أربعة ملايين و ٦١١ طنا . ثم جاءت سنة ١٩٧٣ حيث وصل الانتاج الى اعلى من ذلك ، حيث زاد الانتاج عن البرنامج المخطط بما يقرب من الف طن .

وتعتبر أوزبيكستان المصدر الاول لتوريد القطن بالاتحاد السوفييتى ، فقد وصل الانتاج السوفييتى كله الى ٧٦٦٢ مليون طن كان نصيب أوزبيكستان منها ٤٩٠٠ مليون طن وهو ما يعادل ٦٥ ٪ من الانتاج الاجمالى . وبهذا احتل الاتحاد السوفييتى مركز الصدارة فى انتاج القطن عالميا .

وليس فى الأمر اسرار على الاطلاق .



تشتهر البساتين الاوزبيكية بأجود أنواع الفاكهة كالتفاح والمشمش والعنب حيث تلقى الأرض عناية بالغة لمضاعفة جودتها باستمرار

ذلك ان النظام الاشتراكى للاقتصاد الزراعى اوجد الكولخوزات والتى وصلت الى حوالى ١٠٠ كولخوز وأكثر من ٤٥٠ سوفخوز (مزارع حكومية) بالاضافة الى استخدام الالات فى الزراعة بنسبة كاملة (١٠٠ ٪) مما جعل ممكنا حصد ٥٥ ٪ من مجموع القطن (٤ ملايين و ٩٠٠ ألف طن) بماكينات الحصد وهو يساوى مليونين و ٦٠٠ الف طن منها . وهذا يفسر سر التطور السريع لزراعة القطن .

لقد اخرجت أول ماكينة لحصد القطن سنة ١٩٤٩ حيث بدأ العمل باستخدام ٢٧٦ ماكينة من طراز M 48 M × ٢ أمكنها جمع المحصول من ٥٧٠٠ هكتار فقط .

ولكن الان توجد فى أوزبيكستان مناطق حصد فيها القطن بالماكينات بنسبة تتراوح بين ٦٠ ٪ الى ٧٠ ٪ بالنسبة للانتاج العام للجمهورية ، وكذلك فى اكثر من ١٠٠ كولخوز وسوفخوز بنسبة (٨٠ ٪ الى ٩٠ ٪) وفى اوزبيكستان تمكن بعض السائقين المهرة من حصد أكثر من ١٠٠٠ طن (للسائق الواحد) فى الموسم الواحد . هذا علاوة على الدور الذى اداه بنجاح ماكينة الحصاد الحديثة المسماه (اوزبيكستان) ذات الصفوف الاربعة . هؤلاء السائقون المهرة يوجد منهم اكثر من ٢٠٠ سائق انتجوا ما بين ٢٥٠ الى ١٠٠٠ طن ، فى الموسم الواحد ، اى ان سائقا واحدا بماكينة ينتج ما يعادل انتاج ١٠٠ جامع يدوى .

والعامل الثانى فى سرعة التطور الزراعى هو استخدام الاسمدة الكيماوية ، حيث تنتج مصانع الجمهورية الاسمدة الكافية لحاجات الزراعة — الازوتية والفوسفورية — ومن تقارير معاهد الابحاث العلمية يصرف للهكتار الواحد ٣ اطنان ٢٥٠ كيلو أزوت ومن ١٥٠ — ١٦٠ كيلو اسمدة فوسفورية . وهذا يبرهن بالعمل والفعل على ان استخدام كيلو واحد من هذه الاسمدة يعطى ١٠ كيلو قطن زيادة .

والعامل الثالث هو دور شبكات الرى فى استصلاح اراض جديدة وريها وبخاصة فى المناطق الجائعة والحقول فى « سورخان شيرابات » وفى بداية سواحل نهر « سيحون » وفى وادى « فرغانة » وفى حقول « يازوان » ، كما ان هناك مهمة جديدة لاستصلاح الاراضى فى « قارش » الشبه صحراوية التى يزرع القطن فيها الآن . وتوجد الآن خطة لانشاء كولخوزات جديدة خلال الخطة الخمسية الحالية التى ترمى الى استصلاح مليون هكتار فى المستقبل القريب .

بالاضافة الى كل هذا ، توجد شبكات رى للحفاظ على المياه الزائدة وتخزينها للسنة القادمة أو عند الاحتياج .

ان التخطيط الزراعى فى أوزبيكستان يتمثل دائما فيما قاله « لينين » :

(لكى نتمكن من أن نحصل من الزراعة على الحد الاقصى ، علينا ان نؤسس ونعتمد على الاساليب العلمية المعاصرة وعلى قوة المهندسين الزراعيين والاعتماد على الادارة العلمية .)

وهذا متوفر الآن فى وزارة الزراعة ، حيث يعمل من ٣٠٠ متخصص يقدمون مساعداتهم الكبيرة لكافة المنظمات المحلية والكولخوزات والسوفخوزات وصولا الى محاصيل مرتفعة من القطن وسائر المحاصيل وزيادة الثروة والانتاج الحيوانى والمواشى .

وغير زراعة القطن ، تنتج اوزبيكستان ٥٣ ٪ من « حرير دودة القز » الى جانب ٢٥ ٪ من الكتان و ٣٥ ٪ من الاغنام الصغيرة المعروفة باسم « الكاراكول » ،

الى جانب قوة كبيرة من العلميين مـع ١٠ معاهد أبحاث علميـة بها ١٠٨٩ متخصصا علميا ، مـن بينهم ١٨ دكتور علوم و ٤٣١ مرشحـا للعلوم (بين ماجستير ودكتوراه) .

وللحصول على فرصة الترشيح للعلوم الزراعية يلزم اجتياز مرحلة دراسية فى دورات خاصة Pose graduate حيث يدرس أكثـر من ٣٠٠ طالب يعدون رسالات الترشيح .

وتوجد ٤ معاهد عليا خاصة بالزراعة لم يكن هناك قبل الثورة وجود لأى منها . ويدرس بها ٢٢ الف طالب ويعمـل بها ١٢٣٠ مدرسـا منهم ٢٣ دكتور علوم و ٤٤٩ مرشحا للعلوم . ويوجـد للوزارة ٣٠ معهـدا زراعيا متوسطا ومتخصصا ، وهى تخرج المهندسين والميكانيكيين فى تربية المواشى وفى الاقتصاد وغيرهما وهذه المعاهد من بين عشرين معهدا متوسطا متخصصا .

هذه المعاهـد العليـا والمتوسطة تقـدم سنويا ١٠ آلاف متخصص زراعى ، منهم ٣٠٠٠ متخرج من معاهد عليا والباقى من معاهد متوسطة . واغلبهم يعملون بمجرد تخرجهم فى المزارع الجماعيـة ، ويوجـد منهم الآن أكثر من ٦٠ الف زراعى بجميع فروع الزراعة من الادارة الى العمل بالأرض ، ومن بينهم نسبة ـــ فى العمل المباشر . ولم يكن فى البلاد قبل الثورة منهم الا ثلاثة يحملون دبلومات .

وعندما سألت عن نظام المـزارع الجماعيـة والفـرق بين الكولخوز والسوفخوز قيل لى :

الكولخوز ، هو المزرعة الجماعية الاختياريـة ، حيث يشترك العضو فيها بما يقدر ولو كان بحصان . وله ميثاق خـاص يتم التصرف بمقتضاه فى حدود الارض وله مجلس عام حيث تدير الكولوخوز مجموعـة من هـذا المجلس ، وهذا المجلس يختار الـرئيس فى نفس الوقت . وجميع وسائل العمل ملك جماعى للكولوخوز وليس للحكومة .

وادارة الكولخوز تفتح لها اعتماد حساب فى البنك الحكومى لتمويل العمليات المتبادلة مع غيرها من المنظمات . وفى نفس المجلس تختـار لجنة لمتابعة ومراقبة أعمال الادارة وكذلك موظفين لفروع العمل . وتقترح الادارة اختيار مسئولين عن فرق التنفيذ بعد موافقة المجلس .

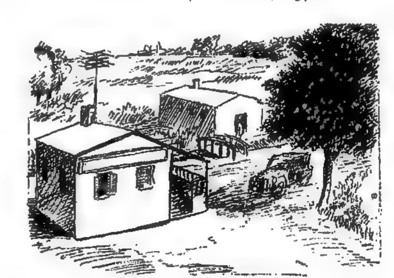
ولكل عضو من الفلاحين بالكولوخوز الحق فى زراعة مساحة ١٥ ٪ من الهكتار بما يشاء لحسابه الخاص الى جانب ما يعود عليه مـن ناتج العمل الجماعى الاساسى الذى وصل متوسط دخل العائلة الواحدة منه ٥٠٠ روبل سنويا .

أما السوفخوز ، فهى منشآت حكومية زراعية تؤسس بموجب قرار حكومى ولهذا تكون وسائل الانتاج من أجهزة ومعـدات ملكـا للحكومة . ويتولى ادارة السوفخوز مدير مسئول فى يده كل السلطة .

وفى زيارة لمدينة « بخارى » تسنى لى ان اشاهد كولخوزا فى ضواحى المدينة يسمى « كولخوز مدينة » يتالف من ٢٦٠٠ هكتار من الأرض الزراعية ، يزرع منه ٢٠٠٠ هكتار قطنا و ٣٨٠ هكتار لانتاج العلف و ٧٥ هكتارا لزراعة الذرة . ويضم هذا الكولخوز ٧٥٠٠ نسمة من بينهم ٢٦٠٠ طلبة زراعة و ٣٠٠٠ يعملون بالزراعة و ٧٥٠ على المعاش ، هذا بالاضافة الى الاطباء والمدرسين والطلبة العاديين . وتوجد بالكولخوز (مدينة) ٤ مراكز للرعاية الطبية منها مركز للولادة واربع مدارس (٢ ثانوى دراسة ١٠ سنوات ، و ٢ ابتدائى دراسة ٨ سنوات) .

وينتج هذا الكولخوز القطن الذى كان محصوله فى السنة الماضية ٥٨٨٥ طنا ، ويجرى العمل لانتاج اعلى بحيث يعطى الهكتار ٤ اطنان ، وذلك بمناسبة اليوبيل الخمسين لاقامة الجمهورية . وقد وصل الدخل من القطن الى منسوب ٣ ملايين و ٨٤٥ الف روبل فى السنة . واستخدمت الآلات لجنى القطن بنسبة ٥٠ ٪ حيث تحقق الآلة الواحدة ٤٠٠ طن علما بأن الجنى اليدوى من ٦ — ١٠ اطنان .

ولقد كانت زيارتى لهذا الكولخوز اضافة كبيرة الى ما عندى من معلومات عن نظام المزارع الجماعية . وكم وجدت تشابها كبيرا بين حياة الريف فى هذا الكولخوز وحياة الريف فى بلدنا . فبالبساطة الصادقة استقبلنا مدير الكولخوز « سعيدوف سعد الله » فاذا به شاب فى نهاية العقد الثالث تقريبا له الملامح المألوفة عند أهل الزراعة من الريفيين الذين تلوح الشمس بشرتهم ، وهو قليل الكلام كثير الترحيب كريم الضيافة ، فهو ما يكاد يحضر الشاى حتى يخرج ليعود ومعه اطباق الفاكهة ، ثم ارغفة الخبز الواسعة الحجم والتى يصل قطرها ٤٠ سنتيمترا مثل ما هو مألوف



مبنى إدارة « كولخوز مدينة »
على مسافة عشرين كيلومترا من بخارى



— « حليمة نيكـــــــواه »
رئيسة مجلس سوفييت المنطقة



— « سعيدوف سعد الله »
مدير المزرعة الجماعية

عندنا والذى يسمى « المرحرح » ولكنه هناك ليس رقيقا ، بـل لـه سمك وبخاصة من الاطراف الدائرية .

وهناك ، حضرت سيدة رفيعة القوام صغيرة الجسم هادئة المظهر وقد عرفونى بها ، الرفيقة « حليمــة نيكواه » وهى الرئيســة المنتخبــة لمجلس السوفييت بالمنطقة التى تسمى « رباط كالماك » . وكانت مواظبة على هدوئها وصمتها حتى دار الحديث حول الزراعة والقطن ، فاذا بها ــ دون أن تفقد ثباتها ــ تفيض بالحماس حول التحدى الذى أعلنته الجمهورية لكى يرتفع محصول القطن هذا العام الى الخمســة ملايين قنطـار . وعندمـا تطرق الحديث عن فترة ما بعد الثورة مباشرة ووضع الفلاحين فى النظام السوفييتى الجديد كانت كلماتها تحمل رنين التجربة وحرارة الواقع . فقد ظلت تضرب الأمثلة عن حالة البؤس التى كان الفلاحون يعيشونها قبل الثورة وظلت آثارها مطبوعة عليهم الى فترة طويلة بعد الثورة ، وكيف أن تجربة المزارع الجماعية ما كان يمكن لها أن تحقق أى نجاح لولا أن هؤلاء الفلاحين الفقراء وجدوا فيها

الخلاص من حالة القهر المادى والتخلف المستمر ، فقد أدرك هؤلاء الأميون الذين لا يستمتعون بأى نوع من أنواع الثقافة والمعرفة ، لقد أدركوا بغريزتهم الثورية ، أن هذا هو طريق الخروج من أوضاعهم السيئة ، فالتفوا حول الثورة واعطوها كل ما فى وسعهم من جهد وتأييد حتى حققت هذا المستوى المتطور فى أقل زمن ممكن .



— « همروقهاروف » اهم الخبراء الزراعيين فى القطن

وعندما خرجنا للتجول فى الكولخوز ، صادفنا رجلا يوحى منظره بانه سائق جرار أو سيارة نقل ، وعرفت انه يسمى « همروقهاروف » وبعد أن تصافحنا ، عرفت أن لهذا الانسان قيمة كبرى فى الكولخوز . وقد أكدت الرفيقة « حليمة » بان صحة هذا الانسان تمثل عندهم هدفا يجب المحافظة عليه ، لانه الخبير العام للزراعة عامة وللقطن بصفة خاصة ؛ ولهذا يلزم رعايته تمام الرعاية . وتجولنا بين اشجار الفاكهة المختلفة والتى خصصت لها أجزاء قريبة من الطريق وهى مليئة باشجار المشمش والتفاح والبرتوق ولها سور من الزهور وعباد الشمس والورود المتعددة الالوان .

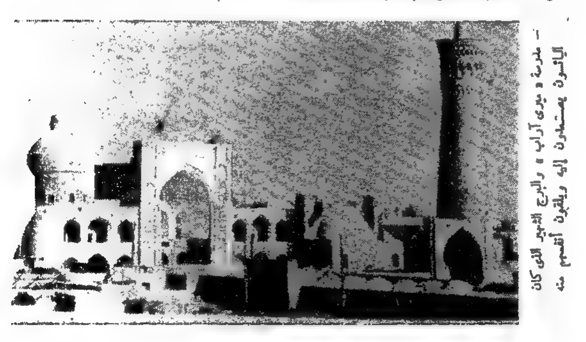
وكنت قد احضرت معى بعض العقود الملونة والمكاحل والمناديل المزركشة بالترتر والتى تسمى فى مصر « أبو اوية » فقدمت هذه المجموعة للرفيقه « حليمة » كما قدمت لى طاقية أوزبيكية ومنديلا مزركشا وصممت على أن البسه كعادة الفلاحين هناك وذلك بربطه حول الوسط بحيث يكون المثلث متدليا من الخلف ، ففعلت ؛ وانصرفت وانا على هذا الوضع وسط تحيات بالأيدى حتى غابت بنا السيارة فى طريق العودة الى بخارى .

وفى بعض الاجتهادات العلمية ، تفسير لمصدر اسم هذه المدينة ، بأن اصله فى اللغة السنسريتيه « فى خارى » ثم تحولت مع الزمن والتداول مع سائر الشعوب الى ابدال « فى » « فيو » ثم الى « بو » وأن « بخارى » تأتى

فى القدم بعد « بغداد » وان بها مــن الاثــار ما يرجــع الى القــرن التاسع الميلادى . وتعدادها الان ٤٥ ألف نسمة وطقسهاصحراوى (٣٠٠يوممشمس فى الســنة) ويتالف سكانها مــن ٦٠ ٪ أوبيك و ٥ ٪ تاجيك والباقى يمثــل ثمانين قومية مختلفة . وتنتج بخارى ٣٣ الف طن مـــن القطن طبقــا لآخـر احصاء . وتنتج مصانع بخارى ١٠٩ ملايين متر مربع من مصنوعات القطن . وبها ١٩ مؤسسة متخصصة فى تربيــة (الكاراكول) وهى نوع مــن الخراف الصغيرة وقد نالت فى ١٩٦٥ الدبلوم الدولى فى معرض ليبزج ، وهذا النوع من الخراف منه فى بخارى ما يمثل ٤٥ ٪ مــن الموجود فى كــل الجمهورية ، ويسمونه هناك « جوهرة الصحــراء » كمــا يطلق نفس الاسم على بخارى باعتبارها ماسة فى اطار من الرمال . . . .

وفى بخارى مائة حوض آبار لمياه الشرب . وقد شاهدت احدها أمام جامع اسمه « بولو هاوس » انشىء سنة ١٧١٢ ، وقد شاهدت فيه معرضا لرسوم اطفال المدارس حتى الصف الثامن .

وقد شاهدت مئذنة جامع مدرسة « ميرى آراب » التى يصل اساسها الى عشرة امتار تحت الارض وترتفع فوقها ١٠٥ درجات حجرية حتى القمة ، وقد اشتهرت لكثرة المنتحرين من فوقها ، وقد بناها الشيخ عبد الله من اليمن فى القرن السادس عشر عندما كــانت سمرقند عاصمــة للاسلام ، وتجاورها مدرسة دخلتها فالتقيت بشاب اسمه « رحمت الله قاسم » وهو طالب بالمعهد



ــ مدرسة « ميرى آراب » والبرج الشهير الذى كان الأسرى يصعدون إليه ويلقون أنفسهم منه

الدينى فى بخارى وسبق له أن درس بعض الوقت فى الجامع الازهر بالقاهرة ودعانا الى غرفته الصغيرة التى تواجه حوش المدرسة الداخلى . وقد افاض

علينا بالترحاب الشديد وهو يتحدث بلغة عربية لا يشك السامع اليها انها من مكان غير القاهرة ، وهو متعلق بمصر بصورة جامحة ، وقد ذكر لنا انه بعد انتهاء دراسته هنا سوف يوفد في بعثة الى الجامع الازهر بالقاهرة .
وهو يحتفظ بعدد من الاشرطة المسجلة عليها اغان مصرية لشادية ونجاة الصغيرة وعبد الوهاب وام كلثوم وعبد الحليم ، كما انه يجيد تلاوة القرآن ، وقد استمعنا اليه ، فاذا به يؤدى بانفعال وتان واتزان ، وبكل فهم وكان اداؤه يكاد يطابق أسلوب الاستاذ القارىء الكبير الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ولا يختلف الا في حدود فارق الحنجرة والتجربة . وعند انصرافنا طالبنا بأن نحاول تمكينه من قراءة المجلات والصحف المصرية لانها لا تصل اليه بانتظام سوى « الشباب العربي » ثم سلمني ظرفا بريديا مرسلا اليه بالطائرة وهو من ظروف المجلة .

وتوجهنا الى جامع « كاليان » حيث يصلى فيه ١٠ آلاف مسلم في الأعياد والمناسبات . أما تحفة العمارة الاسلامية الاوزبيكية فهى ضريح « اسماعيل » فهو مشيد من قوالب صغيرة من الاجر القوى وتبدو من بعيد كأنها حوائط ملونة ، مع أن اللون لا يدخل فيها اطلاقا فهى بلون الطوب ذاته ، ويقال ان البلاط الذى استخدم في البناء قد عجن بلبن الجمال حتى يأخذ صلابة وتحجرا . وهناك خلف الضريح تظهر بقايا سور المدينة القديم وهو بطول ١٢ كيلو متر وفيه ١١ بوابة كل واحدة منها باسم الطريق الخارج منها الى جهة من الجهات مثل بوابة « تاليباتش » و « سمرقند » و « كارش » . وهناك أيضا ضريح ومركز للسفن هو « تشاشى ايوب مزار » حيث توجد عين مياه كانت تنسب اليها خرافات عديدة مثل علاج العيون المريضة وشفاء المرضى ، ثم تبين بعد ذلك بالكشف والتحليل المعملى العلمى ان مياه هذه العين تحتوى على نسبة مرتفعة من اليود .

وعلى طول الطريق كانت لافتات معلقة تشير الى نسبة الانتاج الزراعى وقد سجلت منها بقدر ملاحقتى لسرعة السيارة :

٥٠٠ر٠٠٠ طن قطن — ٢٢ر٠٠٠ طن فول سودانى — ٥٤٢ر٠٠٠ طن فواكه — ٥٠٥ر٠٠٠ شمام — ٨٦٨ر٠٠٠ طن لبن — ٢١٨ر٠٠٠ طن لحم ٦٠٣ ملايين بيضة — ٨٥٠ر٠٠٠ طن خضار ..

وفى بخارى قناة قديمة تحيط بالمركز الداخلى وتصل الى اطرافها . وقد تهدمت وبدأت الاتربة تطمرها ، ولكنهم بدأوا يعيدون لهذه القناة شبابها بالطرق الحديثة وتسمى « قناة سخروت » وقد حفرت في القرن التاسع ، والان يتم تغليفها بالاسمنت وتقام فوقها الجسور والكبارى للمرور .

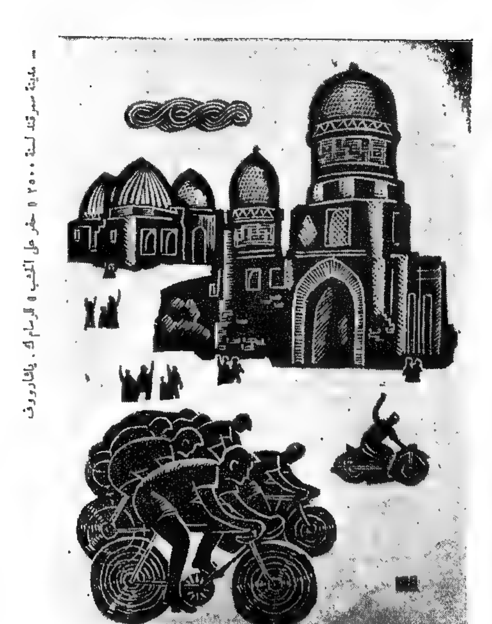
وزرت بعد ذلك مبنى المحافظة الاثرى ، وهو الان متحف تاريخى . وهو مقام فوق ربوة مرتفعة قليلا والصعود الى مدخله عن طريق درج يرتفع الى خمسة امتار وعند الباب يميل شمالا حيث دهليز يستمر فى الارتفاع ، وهو بمبان تعلوه وعلى جانب هذا الدهليز عدة أبواب صغيرة ولها أبواب مزدوجة من أسياخ الحديد وكانت تستخدم سجونا مركزية ، ونظرة واحدة اليها كفيلة بأن تعطى فكرة كاملة عن مدى القسوة التى كان يلقاها من تشاء السلطة وقتها أن تبطش به وتنكل ، فهو بعيد عن أى مقياس انسانى بعد السماء عن الارض . وبعد الخروج من دهليز البطش هذا وجدتنى فوق سطح المحافظة ، حيث متحف للفنون الجميلة يضم لوحات وتماثيل وكلها من الانتاج الذى جاء بعد الثورة . وبعد ذلك مررنا فى دهليز مكشوف يؤدى فى جانب منه الى قاعة غير مسقوفة كانت تستخدم فى الاستقبالات الرسمية وضعت فى صدرها منصة عالية لها سقف ضيق يحمله عمودان خشبيان مزخرفان . وبعد خروجنا من هناك صعدنا بضع درجات الى مساحة غير مغطاة ثم صالة فى المواجهة تؤدى اليها عدة درجات حجرية ، حيث أقيم متحف لما قبل الثورة . وهناك رسوم وصور تعبر عما كان يلاقيه المواطنون من تنكيل وقتل وتعذيب منها صورة جلد « صدر الدين عينز » على ظهره ٧٠ جلدة سنة ١٩١٧ ، والى جانب ذلك آلات التعذيب المختلفة وملابس الحكام المطرزة وبيانات واحصاءات عن جرائم القيصرية ضد شعوب آسيا الوسطى . ونزلنا من هذه البناية التى تعطى فكرة القلعة فى نفس الوقت .

وتوجد الآن فى « بخارى » ٣٥ مدرسة ابتدائية ، ٩ مدارس متخصصة ثانوية ، ومدرسة واحدة للمعلمين واخرى مسائية للتدريب الهندسى ويتم سنويا تخريج ٧٠٠٠ معلم .

وفى كل سنة يتم انتقال ٥٠٠ عائلة الى مساكن حديثة .

وعندما كانت بخارى محصورة داخل السور قديما ، لم تكن بها أى مساحة تكفى لزراعة الخضرة والحدائق ، اما اليوم ، وبعد قيام الثورة فقد بدأت المساحة الخضراء تظهر وتتزايد داخل المدينة لتؤدى دورها فى تلطيف الجو القارى القائظ ولزيادة وسائل النزهة .

وتعتبر « بخارى » قبلة السياح من كل الانحاء وفى كل فصول السنة ، ومع مرور الزمن تتزايد أعدادهم الى الدرجة التى دعت الى التفكير فى انشاء مطار دولى هناك بحيث تستقبل الطائرات مباشرة بدون الهبوط فى موسكو كما هو جار الآن .



■ مدينة سمرقند لسنة ٢٠٠٠ « حفر على الخشب » للرسام ك . ياشاروف

فى سمرقند

فى كثير من انحاء الارض مدن تحوط بتاريخها الأساطير واشباه الخرافات ولكن تكاد سمرقند تكون أعجبها حقا ، حتى ليكاد الانسان يتصور ترابها وقد خلط بماء الأسطورة . فحيثما مشيت ستجد أثرا قديما تصاحبه قصة من الأساطير العجيبة . ولعل أول الحقائق الثابتة ، أن

سمرقند من أقدم مدن الأرض ، حيث انها انشئت منذ ٢٥٠٠ سنة . وهى تقوم على أرض مساحتها ٢٩ كيلو متر مربع وتعدادها الآن يصل الى ٣٠٠ الف نسمة . وقد يكون من أسباب تعلق الاساطير بها هو التاريخ الغنى بالاحداث الضخمة التى عاشتها هذه المدينة والتى تعرضت لهجمات ضارية مدمرة منذ القدم . ففى سنة ٧٢٩ قبل الميلاد احتلها الاسكندر الاكبر ودمرها تماما ثم أعاد بناءها وجدد آبارها . وفى القرن الحادى عشر غزاها العرب وفى القرن الثالث عشر اجتاحتها جحافل المغول بقيادة « جنكيزخان » الذى دمرها بكاملها وقتل من اهلها ٣٠٠ ألف نفس وأسر ٣٠ ألفا من الاهالى .

وتستحق « سمرقند » أن يطلق عليها أسم « متحف التاريخ » ، فلكل أثر من آثارها حكايات ترتبط فى أذهان العالم باسماء مشهورة ، مثل « تيمورلنك » ولنبدأ ببعض الآثار .

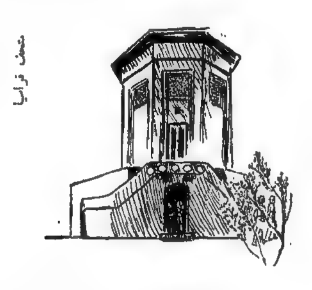
متحف « فراسيا » وهو مقام على قمة ربوة عالية نصل اليها بدرج حجرى وسط اشجار الورود والزهور واشجار الزينة المتوسطة الارتفاع . وهو بناء مقام من طابقين ، حيث يوجد فى الطابق الأراضى مجموعة من الصور المختلفة من فوتوغرافية الى رسوم زيتية ورسوم بالريشة ، مع مخطوطات اصلية ، وكلها حول احدى العبقريات التى ساهمت فى بناء الحضارة الانسانية : وهى شخصية « أوليغ بك » حفيد « تيمورلنك » وهو الذى تولى الحكم بعد وفاته . وكان مهتما بالفلك وبالارصاد . والمخطوطات الموجودة بالمتحف تؤكد ما وصل اليه « أوليغ بك » من توفيق علمى ظهرت حديثا الدلائل على صحته . ففى لوحة يوجد غلاف لكتاب من مطبوعات « أوكسفورد » باسم (جداول مواضع ثوابت الطول والعرض) باللغة العربية ، وفى داخل الكتاب تسجيل لاكتشافه لعدد من النجوم والكواكب عددها ١٠١٨ ، وكذلك سجل لعدد ٦٠٨٣ من مدن العالم وقتها ، وفيه ما يفيد انه اكتشف بالعلم والتجربة والمتابعة ان طول السنة هو ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٠ دقائق وثمانى ثوان ، وقد جاء بعد ذلك بزمن طويل العالم الانجليزى « نيوكومب » ليؤكد أن الفارق بين هذا التقدير وما وصل اليه التحقيق العلمى الحديث لا يزيد الا دقيقة وثانية ، فما وصل اليه « أوليغ بك » صحيح فى الايام والساعات ، ولكن صحة طول الدقائق هى تسعة بدلا من عشرة والثوانى ستة بدلا من ثمانية . أن الذى توصل اليه « أوليغ بك » منذ خمسة قرون ونصف يصح اعتباره عملا خارقا للعادة ومعجزا فى نفس الوقت . ولكن هذا ما حدث بالفعل . الى جانب هذا توجد رسوم للمرصد الذى بناه لاجراء تجاربه العلمية والذى توجد باقى آثاره فى مكان مجاور للمتحف فوق الربوة وهو الجزء الذى نجا من الدمار بعد أن تآمر ابن أوليغ بك مع بعض القادة على قتله ونفذوا مؤامرتهم ثم دمر كل شيء أمكن تدميره ، وقد

سجل أحد الرسامين على لوحة زيتية صغيرة الحجم (٤٠ × ٦٠ سنتيمترا) عملية اعدام العالم الكبير « أوليغ بك » وهى من معروضات هذا المتحف . وفى المتحف تعرض الأدلة العلمية الكافية لاثبات أن الجمجمتين اللتين عثر عليهما « لتيمور وحفيده أوليغ بك » ومعهما صورة فوتوغرافيـة للأستاذ العالم الباحث الاثرى والنحات « جراسيموف » ، هذا الى جـانب عديد من المطبوعات المترجمة لأعمال « أوليغ بك » باللغات الأوروبية جميعها .

وفى الطابق الثانى من المتحف تعرض بعض الاثار القديمة من أسلحة وملابس وأدوات . وأمام المتحف يوجد شاهد لمقبرة يحيط به سور صغير من أسياخ الحديد وهو يضم رفات أول من قام بأعمال الحفر والبحث عن الاثار وهو الاستاذ « فيادكين » المتوفى سنة ١٩٣٢ .

وقبل أن اغادر هذه الربوة التاريخية ، القيت نظرة على المدينة التى كانت تبدو منبسطة فى منخفض الوادى ورايت المكـان الـذى وقف أمام ربواته المرتفعة جنكيزخان قبل اجتياحها ، بينمـا كان هناك تمثال كبير أقيم حديثا « لأوليغ بك » وهو ينظر نحو الأفق .

وذهبنا الى ربوة اخرى فى طرف آخر من أطراف سمرقند القديمة . حيث توجد « مدينة الموتى » وهناك وقفت « ايناس » الفتاة الجميلة التى



قامت بدور الدليل السياحى لنا ، لتحكى قصة هذه المدينة .. مدينة الموتى .

انه عندما جاء العرب بقيادة « قثم بن عباس » كانت نظرة الناس اليه باعتباره غازيا تجعله محل كراهية ، وبينما كان « قثم » يصلى فوق هذه الربوة ، جاءه شاب متحمس لوطنه وضربـه بالسيف ضربـة فصلت راسه عن جسـده ، وكان وقتها ساجدا ، ثم أخذ راسه ودفنها تحت سفح الربوة فنبت حولها بستان مزدهر ، وسمع الناس هاتفا يقول لهم :

من يريد التقرب الى الله فليدفن بجوارى فوق هذا التل .

وعندما سألتها ، كيف تقول أنه بعد أن ضربه الشاب بالسيف استمر يصلى ، قالت لى وكأنها لا تدافع عن هذا القول :

هكذا تقول الرواية ، ولكنى لم أشاهد ما حدث بعينى ، أنا فقط انقل ما يقال . وقد فسرت هذا بتصور بسيط لما حدث ، وهو أن الساجد اذا ضربت رقبته ، فمن الممكن أن يظل ساجدا ، وهذا يفسر أنه استمر يصلى .

وفى هذه المدينة عديد من الاضرحة المشيدة على الهندسة الاسلامية الأوزبيكية حيث تغطيها نقوش بالسيراميك البديع الالوان والزخارف فى كل بوصة من مساحاتها ، وكأنها خلية نحل جميلة الألوان ويشترك الخط العربى الحسن التنظيم فى تسجيل بعض الآيات القرآنية والأسماء والتواريخ والحكم المأثورة . والعجيب أن أحد الأضرحة مكتوب عليه اسم الفنان الذى زخرفه واسمه « الاسطى على بخارى » ولا يوجد أى أثر لاسم صاحب الضريح . وهناك وجدت قبر « بوروندوك » أحد قواد تيمورلنك وهو بسيط بالنسبة لغيره . كما تتعدد كتابات اسماء الفنانين والمزخرفين الذى



« إيناس » المترجمة الشابة

اشتغلوا فى هذه الاضرحة ، مثل « الاسطى على من كارشى » والأسطى زكريا الدين من سمرقند » . ويوجد قبر لزوجة تيمورلنك « طومان آكا » وهى من اذربيجان وقد بنت ضريحها قبل أن تموت .

اما ضريح « قثم » فهو أضخمها كلها وله باب من ضرفتين كان فى عهده مغطى بالذهب ويسمى « مدخل الجنة » وهو يؤدى الى بهو متسع فى نهايته باب على اليمين تصعد اليه بعدة درجات ليؤدى الى صالة واسعة كانت مسجدا وقد بناه « تيمورلنك » فى القرن الرابع عشر وكان مغطى بالسيراميك من الارضية الى الحوائط والسقف . وفى الجهة المقابلة للمدخل

شباك من الخشب المشبك تتخلله فرافات صغيرة ومنتشرة فى مساحته تظهر من خلفه أضواء غرفة المدفن حيث يوجد قبر « قثم » . وبجوار هذا الشباك باب منخفض الارتفاع وهو مغلق دائما ولا يفتح الا فى الاعياد الدينية لكى يدخل الجمهور ليؤدى صلاة العيد أمام القبر للتبرك .

وعند العودة كنت على وشك نزول الدرج الحجرى الواسع (٨ أمتار) والذى يصل عدد درجاته الى الخمسين درجة ، عندما نادتنى « ايناس » وطلبت منى أن أنزل درجة درجة وان أحصى عددها ، كما هو متبع بين الزائرين هناك ، ولكنى كنت قد وصلت من الارهاق الى حد رغبت فيه أن تحملنى طائرة الى الفندق حتى أخلع ملابسى وأهرب من القيظ الشديد وانام ، فلم انفذ هذه النصيحة ، وقفزت الدرج قفزا حتى وصلت الى السيارة فالقيت بجسمى على مقعدها الوثير .

وصممت على أن نذهب الى تناول الغداء وبعض الراحة ثم نواصل جولتنا ، وقد كان ما أردت .

وكانت الزيارة الثانية ، لمكان اثرى كبير تبدو عليه آثار التدمير وعوامل الزمن ، ولم تبق فيه سوى ثلاثة جوانب ، تقوم عليها حوائط ضخمة ، وفى تقديرى أن مساحة هذه المنطقة الاثرية تكاد تصل الى ٤٠٠ × ٤٠٠ متر . وفى الجوانب الثلاثة يصل سمك الحوائط الى خمسة أمتار من الطوب الآجر ، وفى كل حائط بوابة عالية شاهقة يصل ارتفاعها الى حوالى العشرين مترا واتساعها تسعة امتار ، والمسافة التى فى الوسط مليئة باكوام من الطوب المنهار ، وبينما كنت واقفا أتأمل المكان كانت « ايناس » تحكى لى ما تردد عن هذا الأثر :

عندما كان تيمورلنك فى حملة غزو الهند ، طلبت زوجته « بيبى خانوم » أن يبنى لها مسجدا كبيرا فى « سمرقند » ودفعت كل جواهرها لهذا الغرض . وكان المهندس الشاب الذى تولى هذا العمل يحب « بيبى خانوم » وكانت المبانى التى أقامتها تهبط وتغوص فى الأرض ، ويبدو أن السبب هو أن



« بيبى خانوم » كانت تتعجل اتمامه ولهذا لم يكن الأساس بالعمق الكافى معماريا . وقد سألته « بيبى خانوم » عن سبب تأخيره وهددته بالقتل . ولانه كان يخشى أن يكشف لها عما فى قلبه وامنيته أن يقبلها ، أحضر كوبتين ، وقال لها :

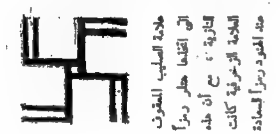
اذا شربت واحدة فانه لا يحدث شىء ، ولكن اذا انا شربت الثانية احترق بالحب .

وعندما عاد « تيمورلنك » عرف بما حدث ، ولم يصــدق أن يحدث هذا لزوجته ، وأرسل فى طلب المهندس الذى اختفى ولم يظهـر لــه أثر ، فاراد أن يحول بين زوجته وبين أن يرى وجهها أحد غيره ، فأمر بأن ترتدى النساء الحجاب منذ ذلك الحين .

وبينما كنت أستعرض ما قالته « ايناس » ومدى معقوليته ، اذا بها تعلن لى بان هذه الحكاية التى شاعت زمنا طويلا قد انتهت ، وأما الحقيقة فهى أن السراى بنتها « بيبى خانوم » أما الجامــع فقد بنــاه « تيمورلنك » بمناسبة فتحه للهند وكان فى الاصل اربعة جوامع على الجهات الأربع ، ولكنه اهتز قبل الانتهاء من بنائه وتداعت أجزاء منه .

وفى الميدان الذى يتوسط هذا المكان توجد قاعدة عرضها ثلاثة أمتار اقيمت عليها منضدة حجرية فوقها صفحتان من الحجر أعــدت لتوضع فيها نسخة من القرآن للتلاوة منها فى الاحتفالات الدينية والمناسبات الكبيرة .

وما أن انتهينا من هذه المشاهد حتى نقلتنا السيارة الى اثر ثالث على مقربة من هنــاك ، حيث مساحة أصغر بعض الشىء من سابقتها ، مقــام على ثلاثة من اضلاعها عمارات ثلاث ، كل واحدة عبارة عن مدرســة . وقد بنى المدرسة الاولى « أوليغ بك » وهى أيضا عبارة عن مساحة حائطية عالية جدا تتوسطها بوابة ضخمــة ، وعلى جانبيهــا مئذنتــان ، وكلهــا مغطاة


علامة الصليب المعقوف التى اتخذها هتلر رمزاً للنازية ، مع أن هذه العلامة الزخرفية كانت منذ العقود رمزاً للسعادة

بالسيراميك ويغلب عليه الألوان الزرقاء . وكانت فى زمانها محاطة بسوق تجارى ، وفى القــرن الخامس عشر كــانت تضم ٥٢ تلميــذا ، وبجوارها كانت بيوت المدرسين . وكانت مكشوفة ولهذا كان البرد شديدا الى درجة تمنع المدرس من الالتفات ، ولهــذا لم يكن لهــا شان يذكــر . ويقابــل هذا الجامع ، جامع آخر بنفس الحجم ولكنه أكثر فخامة وقد بناه « يالابختوش » فى القرن السابع عشر وهو فى الجهة الشرقيــة من الميــدان ، خلف هــذا الحائط ، توجد بنايات من طابقين على شكل مربع يتوسطهــا حوش حجرى ، وفى هذه البنايات حجرات للدراسة ومأوى للطلبة والمدرسين ، وتتسع لأكثر من ١٠٠ تلميذ . وأعجب اثر أمام هذه المدرسة ، هو قبر لا يكــاد يرتفــع عن الأرض لاكثر من قدم واحدة ، وهو للجزار الذى كان يقدم ذبائحه للمدرسة بدون مقابل سوى أن يدفن أمامها ، وكان له ما اراد . وعلى واجهة المدرسة نقوش



مسند حجرى ضخم للقرآن الكريم أمام مسجد «بيبى خانوم» فى سمرقند

وزخارف ، منها أسدان على قمة اليمين واليسار ، ولهذا سميت المدرسة باسم « شيردور » اى « ذات الاسود » . وفى هذه المدرسة تعلم حمزة حليم زاده نيازى ، كما ان مدرسة « اوليغ بك تعلم فيها المفكر الكبير « على شيرنوائى » .

وقد لفت نظرى نقش واحد يتوسط الزخارف ، وهو على هيئة تصميم الصليب المعقوف الذى اتخذه هتلر رمزا للنازية ، وتعجبت ، وسالت عن معناه ، فقيل لى أن الهنود كانوا يتخذونه رمزا للسعادة ، وهو بالطبع أثر قديم .

أما المدرسة الثالثة ، فهى تسمى « تيللاكورس » ومعناها « المصنوعة من الذهب » وقد شيدت بعد المدرسة الثانية بسبعة عشر عاما وقد بدأ انشاءها نفس الشخص ، ولكنه توفى قبل اتمامها فظلت معطلة عن الاتمام ولم يستفد منها ، وكانت مغطاة بمساحات زخرفية كثيرة باللون الذهبى .

ووسط هذه المدارس ، يوجد ميدان واسع لا يشغله اى شىء من المبانى ، وهو مرصوف بالحجارة السوداء والبيضاء وهذا الرصف حديث . ولو نظرت اليه من ارتفاع كاف فمن الممكن ان تقراء على حجارته رقم السنة التى قامت فيها الثورة « ١٩١٧ » .

ولهذا الميدان ذكرى فى تاريخ المنطقة ، ففيه عقد أول مؤتمر عام وحضره « كالينين » حيث تم اعلان قيام الجمهورية .

وقد حدث فى هذا المؤتمر ، وبعد أن سمع الالوف من الناس المبادىء التى قامت عليها الثورة ، وكان من بينها تحرير المراة ، أن تحمست احدى النساء المحجبات ــ وكلهن كن محجبات ــ فخلعت حجابها واحرقته أمام الملأ . وفى اليوم التالى وجدت مقتولة بيد زوجها . وكانت النتيجة أن اندلعت بين النساء موجة من الاحتجاج والشعور الغريزى بالحق الانسانى لهن ، فاجتمع منهن مئات ، لم تجمعن فى نفس المكان وخلعن عنهن الحجب ثم حرقنه فى مشهد كبير ، معلنات وقوفهن الى جانب قرار تحرير المراة ومواجهة الرجال المتخلفين حضاريا بالتحدى الى آخر مدى . ولم تقتل منهن بعد ذلك واحدة .

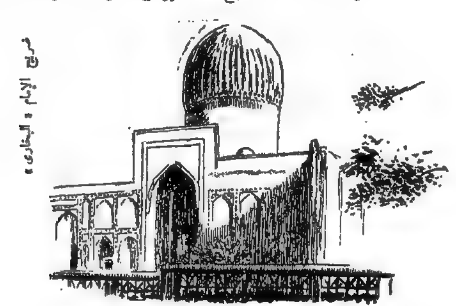
وبينما كنت اغادر المكان ، اخذت أتأمل هذه الأحداث ، واتأمل كيف يكون الانسان مستعدا لتقديم اغلى ما يملك ــ وهى حياته ــ فى سبيل التعبير عن حق من حقوقه ، بعد أن كان راضخا لاوضاع تعود عليها منذ ولد يمضغ آلامها صامتا ، حتى انطلقت فى سمائه دعوة للتحرر من سيطرة التقاليد البالية ، فاذا هذا الكائن الذى عاش اجيالا يتوارث العبودية ، يهب لينفض عنه غبار الاجيال ، وكأنها غفوة يوم أو ليلة فحسب .

ومن الاثار الهامة فى « سمرقند » ضريح الكبار واسمه « جور امير » أو ضريح الأمراء . وقد بناه تيمور لابنه الأكبر « محمد سلطان » الذى كان يرجو أن يخلفه فى الملك ، ولكنه مات وهو فى الثانية عشرة من عمره . وقد تم بناؤه فى سنة ، ولكن تيمورلنك لم تعجبه القبة ، واراد هدمه وبناء غيره كما يرى . ولكن أوليغ بك وذوى الرأى عارضوا هذا ، وانتهى الأمر ببناء قبة ثانية اكبر فوق القبة التى لم تعجبه ، وقد توفى تيمورلنك فى « اوترار » فى جمهورية « كازاخستان » وهو فى طريقه الى غزو الصين ، ويقال أنه مات باحد أمراض رشح البرد ، فعاد به « أوليغ بك » ودفنه فى هذا الضريح ، وفى حديقة الضريح يوجد مكعب حجرى من الرخام الرخيص وبه زخارف ، اعرش تيمورلنك .

ودخلنا الضريح ، فاذا بالقبة من الداخل مزخرفة باشكال دقيقة الصنع من الذهب ومكتوب فيها (سعيد ذلك الذى يرفض الحياة قبل أن ترفضه) وقد تكلفت هذه القبة ٢٢٠٠ جرام من الذهب ، ويتدلى من القبة مصباح من الجواهر النفيسة ، أما الأرض فمغطاة بالرخام . وتحت القبة مباشرة توجد خمس قطع من الصخر علامات على خمسة مقابر ، الأولى قبر « مرسيت بيركبه » الأب الروحى لتيمورلنك وهو فى المقدمة ، وخلفه قبر تيمورلنك ، من حجر اخضر غامق جلبه من الهند أوليغ بك ، وبجواره قبر لولدى تيمور

« ميران شاخ » و « شاخ روخ » وعلى بعد متـر ونصف يوجد قبر « امـير سعيد امير » الساقى الخاص لتيمورلنك . والقبر الخامس لابنـه « محمد سلطان » .

وقد حدث أن « شيخ نادر الايرانى » غزا « سمرقند » واخـذ الحجر



ضريح الإمام « البخارى »

الأخضر من فوق قبر تيمورلنك ، ونظرا لثقله حطمه الى قطعتين وعاد به الى بلده ، وفى منتصف الطريق مات ، فاعيد الى مكانه فورا .

وعند اكتشاف المقبرة ، تم رفع الشواهد التى عليها فلم يعثر فيها على جثث بل كانت فارغة . وظل البحث والتنقيب حتى أمكن العثور على مقابـر اخرى بنفس النظام ولكن على عمق اربعة أمتار تحتها مباشرة فى قبر يوصل اليه درج حجرى . وقد وجد على قبر تيمورلنك الحجرى نقوش فيها تحذير لكل من يعبث بقبره أنه سيصاب بالمتاعب وتجتاح الحروب العـالم ، وكان ذلك يوم ٢١ يونية ١٩٤١ ، وعندما رفع غطاء القبـر وجـدت فيـه جثة تيمورلنك وفى اليوم التالى اجتاحت جحافل النازية حدود الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية . وقد استمرت الدراسـات العلميـة على رفات تيمورلنك ثم أعيد الى مكانه واقفل القبر فى فبراير ١٩٤٣ ، والعجيب أنه فى هذه الفترة من الزمن وبعد قليل ، بدأت معركة ستالينجراد تاخذ مجراها الذى انتهى بمحاصرة « فـرن باولوس » واسر مئـات الالوف مـن القوات النازية ، واعقبها الهجوم الكاسح الذى انتهى بدخول برلين والقضاء النهائى على النازية فى عقر دارها .

وغير هذا من الأماكن الاثرية فى سمرقند ، شاهدت السوق التجارية القديمة ، وهى مقامة تحت قباب متجاورة تكون فى مجموعها سطحا تنطى المحلات المعدة لبيع الانتاج المحلى ، حيث المنسوجات الحريرية وصناديق

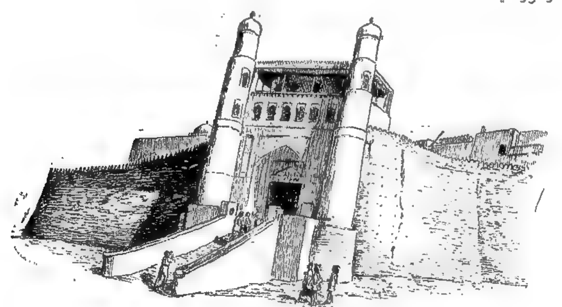
الملابس التى تشبه تماما صناديق ملابس الفلاحين فى مصر ، وتنتشر الى جانب هذه الاثار وفى أنحاء من المدينة عدة آبار عجيبة الشكل والتكوين فالبئر تتكون من أربعة أضلاع عرض كل ضلع عشرون مترا تقريبا وفى كل ضلع درجات حجرية تتجه مائلة نحو الوسط ، بحيث يكون قاع البئر فى حدود عشرة أمتار أو أكثر قليلا لكل ضلع ، وكانت فى زمانها مصدر المياه فى المدينة حيث ينزل الناس لملء الاوانى منها .

ولكن سمرقند ليست مدينة الماضى فقط ، ففيها الآن حركة تعمير وتطوير نشطه . فهناك ٦ معاهد عليا ، وبها جامعة تشمل ١١ قسم دراسة تخصصية ، فيها خمسون ألف تلميذ ، وبها معهد عمارة يضم ٦ أقسام ومعهد طبى (أنشىء ١٩٣٠) يدرس به ٦٠٠ طالب مسلم ومعهد بيولوجى لمعلمى الجمهورية ، الى جوار مدارس مهنية عديدة ومدارس عليا ؛ ومعسكرات صيفية للأطفال .

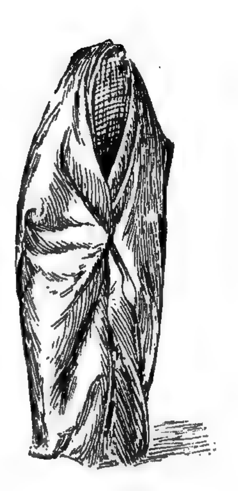
وكانت فى سمرقند مكتبة واحدة أنشأها « فارسوف » سنة ١٩٠٨ . والآن بها ١٦ مكتبة (دار كتب) أكبرها مكتبة الجامعة التى تحتوى على عدة آلاف من المجلدات .

ولم يكن فى سمرقند الا ١٩ طبيبا قبل الثورة ، أما الآن فانه لكل ٨٠٠٠ مواطن يوجد ٦٥ طبيبا . ولم يكن هناك الا مستشفيان اثنان ، والآن يوجد أكثر من ١٠٠ مستشفى .

وفى كل سنة يضاف الى المساكن ٢٠٠ ألف متر مربع من العمارة الحديثة . وتصدر فى سمرقند جريدة « طريق لينين » باللغتين الأوزبيكية والروسية .



— مبنى المحافظة القديم مركز السلطة القيصرية فى قمع شعوب المنطقة حيث السجن داخله



صدق أو لا تصدق .. كان هذا هو ....

عن النصف الحلو

احيانا اتصور نفسى فى ايام الحكم القيصرى لبلاد آسيا الوسطى ، وانا سائر فى احدى الطرقات ليلا ، واواجـه شبحا فى الظلام يتحـرك امامى ، ويتملكنى الخوف فاسارع بالالتجاء الى اقرب مكان بعيد عن طريقـه حتى يمر ويبتعد . والآن اضحك من نفسى بعد أن عرفت ان هذا الشبح لم يكن سوى امراة اوزبيكية بالملابس القومية .

لقد عاشت المراة الاوزبيكية اسوأ نوع من الحياة قبـل الثورة ؛ ففى ظروف القهر الاستعمارى القيصرى وانحطاط مستوى المعيشـة الى ادنى مستوى ، كانت المراة تحمل ــ بجانب كل هذا ــ وضعا عبوديا مهينا اهدر آخر ما تبقى لديها من قيمة انسـانية . فهى بالنسبة لأبيهـا ــ ثم لزوجها ــ تعتبر متاعا من ضمن ممتلكاته الخاصة . لهذا فرض عليها أن ترتدى عباءة فضفاضة داكنة اللون من الصوف والوبر الرخيص تغطيها من قمة راسها الى اخمص القدمين ، وفى مكان الوجه فتحة ضيقة ينسدل وراءها نسيج من شعر الخيل ، وبهذا تختفى كلها داخل هذا الرداء . وكان محرما عليها أن تخرج الى الطريق ــ اذا دعت الضرورة لـذلك ــ الا وهى داخـل هذا

الحجاب الكلى . أما حياتها فى البيت ، فهى لا تظهر لأى رجل سوى زوجها ، وهى محرومة من رؤية الطريق لأن البيوت لم يكن لها نوافذ على الشارع غير الباب الوحيد . وهذا الوضع كان ينفذ بأقصى درجات الصرامة والقسوة وما كان ممكنا اغفاله تحت أى ظروف .

فى مثل هذه الظروف ، لم يتجاوز عدد النساء القادرات على القراءة والكتابة سوى ٢٩٥٢ متعلمة . ومن بين نساء ناحية « ناربای » فى مقاطعة « سمرقند » البالغ عددهن ٢٣٢٢١ امـراة لم يتلق التعليم الاولى سوى ١٤ امـراة .

هذا هو الوضع الذى جاءت الثورة فوجدت المـراة الأوزبيكيـة عليه . ولعلها تجربة فريدة فى بابها من بين تجـارب الشعوب ، جديـرة بالنظـر والمعاينة ، ولنبدأ بقول « ماركس » فى هذا الصدد :

(ان تطوير المجتمع لا بد وأن يرتبط بما يمكن أن تقدمه المراة) .

وجاء المخطط ليضع تصميما نموذجيا مفصلا على ظروف حياة المنطقة . وكانت البداية ، فانشئت شبكة من النوادى النسائية الخاصـة فى جميع ارجاء الجمهورية ، وخصصت لادارة هـذه النوادى كوادر مـن النساء المدربات على الادارة والارشاد الصحى والتعليم ، نظمت حملة جذب للنساء لا رتياد هذه النوادى بغرض الاستماع الى قـراءات من المجلات والصحف الدوريـة ، ثم اضيف الى انشطـة هـذه النوادى تعليم النسـاء أصول التفصيل والخياطة ، والى جوار ذلك اقيمت امسيـات لسمـاع الموسيقى والغناء الى جانب مناقشة النساء فى مشكلات تربية الاطفال . وكانت المراة الأوزبيكية تحضر محجبة وبخاصة فى المرحلة الاولى للسلطـة السوفيتية .

وعندما وصل مستوى التعود على الحياة الاجتماعية الجديدة مرحلة معقولة عندئذ فقط أنشئت للنسـاء مدارس لتعليم القراءة والكتابـة . وقد اظهرت عملية انشاء شبكة واسعة من المدارس النسائيـة الخاصـة للقراءة والكتابة ، أن الحاجة ملحة لإيجاد عدد كبير من المعلمات . ولهذا استخدمت هذه المدارس ذاتها فى اعداد المعلمـات كخطوة أولى ، ثم اعقبهـا انشـاء دور خاصة للمعلمات ومعاهد للتثقيف وقد نظمت بالجمهورية فى العام الدراسى ١٩٢٠ ــ ١٩٢١ حيث كانت النساء يحصلن على تعليم ثانوى ، وهؤلاء كان لهن دور كبير فى التدريس داخل عشرين مدرسة . ففى عام ١٩٢٣ ــ ١٩٢٤ مثلا ، كانت تدرس فى دار المعلمات بطشقنـد ٦٣٠ امـراة ، ثم اشتركن جميعهن مع الطالبات فى حملة مكافحة الأمية بين النساء .

وفى العام الدراسى ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ كان تعداد المتعلمات ١٠٥ آلاف امراة . ولم تكن غرف التدريس تكفى للاعـداد الكبيرة الراغبـة فى محو الأمية . ففى سمرقند كان النقص قد وصـل الى ١٩٢٠ غرفـة تدريس . ولم تكن الجمهورية الوليدة بقادرة على اعـداد أبنية جديـدة ، لاهتمامها

باعادة بناء الاقتصاد الوطني الذي دمرته الحروب . فاستخدمت المباني الصالحة نوعا ما ، كالنوادي القروية ونوادي المشروعات والمؤسسات ... وما الى ذلك . وفي كثير من الاحوال كانت الدروس تلقى في « الشايخانات الحمراء » — وهي أماكن في المنتزهات لتناول الشاي مثل المقاهي في مصر — وكذلك في بعض بيوت الأفراد . ذلك ان الشعب ذاته ، وبعد أن استشعر انتماء النظام الجديد له واهتمامه بمصالحه ، قدم بمبادرة أصيلة مساهمات كبيرة للتغلب على مصاعب هذا النقص ، ومثالا على ذلك — ان الفلاحين في ناحية « يانغيكورغان » بمقاطعة « انديجان » اقاموا ست عشرة بناية مدرسية تحتوي على ثمانين غرفة ، وذلك في سنة ١٩٢٨ . ومن هذه الأمثلة يوجد العديد .

واليوم ، يكفي أن نلقي نظرة سريعة على اي مكان في جمهورية أوزبيكستان ، في العاصمة طشقند كما في كل جهة من اطراف الريف ، لنرى الدليل الكافي على أن المرأة قد تحررت تماما من ربقة الماضي واسره وانها تحقق وجودها الاجتماعي والانتاجي في عديد من المجالات . فهي في مجال الطب تشكل اغلبية كبيرة ، وتحتكر المرأة — او تكاد — جميع الخدمات في مجال التجارة ، وتساهم نسبة ملحوظة من النساء في ادارة المرور وقيادة الترام ، وفي المزارع يساهم بعضهن في قيادة الجرارات والآلات الزراعية والحاصدة . اما في المصانع فالمرأة الاوزبيكستانية تشارك الرجل في كثير من المجالات التي تناسب قدراتها . هذا الى جانب مجالات الهندسة والانشاءات المعمارية ومعامل الابحاث البترولية والكيمائية . اما في مجال الفنون ، فالمرأة السوفييتية قد خطت مراحل كبيرة وحققت نجاحا مرموقا وبخاصة في الفنون الشعبية مثل الرقص القومي المتعدد الالوان وأيضا في الباليه والموسيقى الكلاسيكية والمسرح والسينما .

والمرأة الأوزبيكية تبدو انيقة المظهر بدون اسراف أو مبالغة ، فمن النادر أن ترى امرأة تجري لاهثة وراء الموضة الحديثة ، بل انهن يعتمدن على ذوقهن الخاص في اتخاذ مظهرن وبكل بساطة ، مع الاهتمام بتصفيف الشعر بغير افتعال وتزايد ، ويشذبن أضافرهن ويصبغنها بالألوان الطبيعية . وتنتشر بينهن الفساتين الحريرية الصنع والتي تنتجها الجمهورية وكانت من قبل ممنوعة على النساء الفقيرات . وتكاد زخارفها تتشابه بين جميع النساء ، كما ان تفصيل هذا الفستان من ابسط ما يكون . فهو بدون حزام في الوسط ليناسب حرارة الجو ، وله أكمام تصل الى ما قبل الرسغ وهو غير فضفاض ، ويطول الفستان الى ما تحت الركبة .

وخلاصة القول ، أن المرأة الاوزبيكية ، رغم جمالها المعتدل ، وذوق ملبوسها السليم ، فانها تستولي على احترام من يشاهدها قبل اي شيء .



فى صحة الشعب

ظهرت فى منطقة آسيا الوسطى أسماء لعدد من العلماء الذين يسجل لهم تاريخ الطب جهودا وانجازات علمية أضافت الى المعرفة الطبية الكثير مثل « أبو بكر محمد بن زكريا الرازى » (٨٦٥ ــ ٩١٠ ميلادية) ويطلق عليه فى الغرب اسم « رازيس » وله مائتا مؤلف فى الطب . وأيضا « ابو على بن سينا » (٩٨٠ ــ ١٠٣٧ م) .

وابتداء من القرنين الثانى عشر والثالث عشر حتى القرن التاسع عشر ، اصيبت العلوم الطبية بانحطاط نتيجة للحروب والغزو المغولى ١٢١٩ مما أدى الى انحطاط اقتصادى كبير اتبعه انحطاط ثقافى أيضا ، وتدهورت الظروف الصحية الى الدرك الادنى .

وفى ١٨٦٨ م افتتح فى طشقند أول مستشفى عسكرى لأفراد القوات المسلحة الروسية . وبعد مرور ربع قرن على احتلال روسيا للبلاد ، أنشىء ٣٣ مستشفى تتسع لعدد ٢٠٤٠ سريرا (منهـا ١٣ مستشفى تضم ٢٤١ سريرا لخدمة ٣ ملايين فرد) وخصص العشرون مستشفى الباقية للجيش الروسى وموظفى القياصرة .



ومن ١٨٩٥ الى ١٩١٣ كان المخصص للخدمة الطبية فى تركستان من ٣ الى ٤ كوبيكات للفرد الواحد سنويا . وحتى قيام الثورة كـان فى رقعة تركستان الحالية ٦٥ مستوصفا تضم ٩٧٦ سريرا و ٣٤ صيدلية و ١٠٢ من الاطباء (بواقع طبيب واحد لكل ٣٤ الف شخص) و ٢٣٤ مساعد طبيب ومولد . ولهذا كانت تنتشر الأوبئة وامراض التراخوما والسـل والجدرى والتيفود والـدرن الرئوى والجرب ، وكـان احصاء ضحاياهـا يصل الى عشرات الالوف ، ولعل اخطر هذه الأوبئة كانت الملاريا . ففى ١٨٧٢ اصيب من الكوليرا فى منطقة « تشيناز » قرب طشقند ٣٩٧٨ مـات منهم ٢٠١٠ مرضى بنسبة ٦٣ر٥ ٪ ومن الجنود بنسبة ٣٢ر٦ ٪ . وفى ١٨٩٢ اصيب بنفس الوباء فى طشقنـد اعـداد كبيرة ومـات خلال ٨ سنوات منهم ٣٩٦٥ مريضا . وفى سنة ١٩١٤ كان فوق رقعة أوزبيكستان الحاليـة ١٠٢ من الأطباء و ٦٥ مستوصفا و ٣٩ مستشفى (٩٩٨ سريـرا) أمـا مـراكز الاستشارات النسـائية على قلتها والتى فتحتها الطبيبات الروسيات ، فلم يكن باستطاعتها ان تقوم بدور ملحوظ فى حماية الامومـة والطفولـة ، فقد كانت نسبة الوفيات مرتفعة للغاية بين الاطفال والنساء عند الوضع .

وقد بدأ تغيير هذا الوضع بعـد قيـام الثورة حيث أنشىء فى جامعة الدولة بطشقند التى انشئت سنة ١٩٢٠ معهد للطب ، ونتيجة لعدم وجود أستاذ واحد قدمت من موسكو مجموعة من الاساتذة والاطباء المتمرسين . وفى ١٩٢٢ خصص مبلـغ ٦٥ الف روبـل ذهبى لشراء اجهـزة مختبرات ومراجع من المانيا . وفى الفترة منذ انشاء معهد الطب وحتى انفصل وأصبح كلية مستقلة بذاتها (من ١٩٢٠ حتى ١٩٣١) تخرج منهـا الفـا طبيب كان

لهم أثر فعال فى مكافحة الأوبئة والأمراض وفى اعداد كوادر علمية وابحاث ودراسات علمية وكذلك فى تأسيس القاعدة الاكلينيكية ، بالاضافة الى اعداد كوادر متوسطة تعمل بالطب . وفى ١٩٢٤ بدأت الحملة الطبية تؤتى ثمارها بسرعة وبخاصة ضد الأوبئة الخطيرة (الكوليرا والطاعون) وحمى التيفوس الطفحى ومرض الديشتا (وهو مرض جلدى سريع الانتشار) وقد أصيب منه فى بخارى وحدها ما نسبته ٢٠ ٪ من سكانها .

وفى ١٩٢٣ تم تجفيف أحواض المياه ومناطق تجمعها الثابت ، وفى ١٩٣١ تم القضاء على المرض وأعلن فى ١٩٦٢ القضاء التام النهائى على الملاريا فى جميع أنحاء جمهوريات الاتحاد السوفييتى .

وفى ١٩٣٠ افتتح فى سمرقند معهد للطب .

فى ١٩٥٥ افتتح فى انديجان معهد آخر للطب .

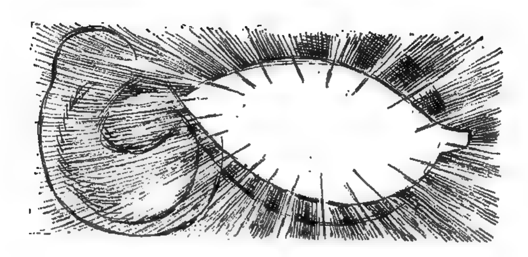
وفى ١٩٦٧ افتتح فى طشقند معهد للصيدلة . ومن هذه المعاهد تخرج حتى عام ١٩٦٧ من الأطباء ٢٤٢٤٤ طبيبا ، وفى يناير ١٩٧٣ كان يوجد فى جميع المعاهد العليا والابحاث العلمية ٢١٣ دكتورا فى العلوم الطبية والبيولوجية بالاضافة الى ٢٧ دكتورا فى فلسفة هذه العلوم .

ويمكن مقارنة التطور الصحى الذى حققته الثورة فى أوزبيكستان بهذه الأرقام :

على أساس طبيب واحد لكل ١٠ آلاف فرد ، كان فى انجلترا سنة ١٩٦٠ نسبة ١٠٫٧ طبيب وفى فرنسا سنة ١٩٦٣ نسبة ١١٫٢ طبيب ، وفى تركيا سنة ١٩٦٢ نسبة ٢٫٤ طبيب وفى أوزبيكستان سنة ١٩٦١ نسبة ١٨٫٣ طبيب ، وهذا احصاء يدل على مدى الانجاز الذى تحقق فى سنوات معدودة .

وقد وصل منسوب متوسط حياة الانسان فى ١٩٦٧ الى ٦٩ سنة .





سمعت ... ثم رأيت

كان اول علمى بالخبر فى صبيحه يوم منذ ثمانى سنوات وبضع شهور . ولم يكن فيما نشرته الصحف ما يحمل تفصيلات أكثر من « أن طشقند تعرضت لزلزال عنيف » اما عن الخسائر والدمار ، فلم اعرفهما الا بعد ذلك بيوم او اكثر . ولاننا فى مصر لا نتعرض للزلازل كثيرا ، واذا حدث زلزال فانه يكون زلزالا هينا رحيما . لهذا فقد مررت بالخبر كأنه كارثة عادية .

ولكن ، لم تمض ايام حتى عرفت أن الزلزال كان عنيفا ، وأنى استعيد الآن الصورة التى انطبعت فى مخيلتى من وقتها ، وما زالت ماثلة كأنها وقعت منذ لحظات .

فى فجر السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٦٦ والناس نيام ، وعقرب الساعة يقترب من الدقيقة الثالثة والعشرين بعد الساعة الخامسة ، وما يكاد يثبت على هذه الدقيقة ، حتى اهتزت الأرض لبضع دقائق هزات قوية ، ثم هدأت قليلا . وهب النيام مذعورين ، ثم تلاشت المفاجأة وأدركوا بخبرتهم أن الخطر قائم ، فهرعوا من مساكنهم الى الخارج ، ولكن الطبيعة لم تكن هدأت ، فعاود الزلزال هزاته بعد ذلك وهى تتزايد عنفا وطولا حتى وصلت الى الف هزة عنيفة . وعندما أفرغت الارض ما فى جعبتها من فورة ، كانت عدة آلاف من الافدنة قد تهدمت وتساوت مع الارض تماما ، وكانت عشرات الالوف من العائلات تقف بعيدا عن منطقة الدمار ترقب بيوتها وهى تتحول الى أكوام من الصخور والأخشاب والحدائد .

شىء واحد لم يكن موجودا بين المواطنين من ضحايا الطبيعة ، ذلك هو الجزع . ولو أن هذه الكارثة حدثت قبل ذلك الوقت بنصف قرن ،

لكان من المحتم ان يجزعوا لانهم بحكم تجاربهم يدركون أن الاستعمار القيصرى لن يهتم كثيراً بما حدث من دمار ، بقدر اهتمامه باعادة بناء قصور البكوات من عملاء الحكم القيصرى وتشييد دور الحكومة ونوادى مرحهم ومتعتهم ولا شيء غير هذا . أما الشعب المحكوم فليس له أى حق اكثر من أن يعيش كسكان الكهوف وأن يعيد بنفسه بناء بيوته كيفما يشاء .

بلا ادنى مبالغة كان هذا هو الذى يحدث لو أن الزلزال تقدم موعده نصف قرن .

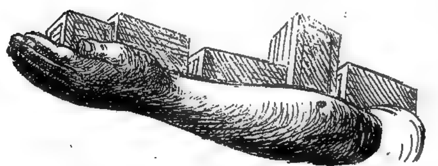
ولكنه — لحسن الحظ — تأخر هذا النصف قرن ، ليقع فى عصر جديد ، تقوم فيه الاشتراكية العلمية بدلا من التسلط الاستعمارى القيصرى ، فالآن يحكم الكادحون ، بدلا من طبقة الاقطاعيين والمستبدين .

لهذا ، كنت والطائرة تحملنى وتقترب من الأراضى الأوزبيكية أتساءل بينى وبين نفسى : ترى ماذا سارى على أرض طشقند ؟ كم بيتا أمكن بناؤه ، وكم مؤسسة وكم مدرسة وكم مستشفى . . . ؟ الى آخر هذه التساؤلات .

وآخيرا ، وصلت الطائرة ، ولمست قدماى أرض مطار طشقند ، بينما اخذت عيناى تتجول حولى دون أن تتبين غير انشاءات عادية مما يوجد فى كل مطار . وانتظرت حتى نصل المدينة والتى تبعد قليلا من المطار .

وكانت مفاجاة حقيقية لى ، عندما كانت السيارة تطوى الطرقات المرصوفة داخل العاصمة طشقند وأنا أرى على طول هذه الطرقات مئات من العمارات الحديثة الضخمة وسط مئات من الحدائق الوارقة العالية الأشجار ، ومئات من النافورات المتعددة الاحجام والاشكال جميلة التصميم تنتشر فى الميادين كما تتناثر أيضا داخل البساتين والمتنزهات .

حقا انه العجيب .

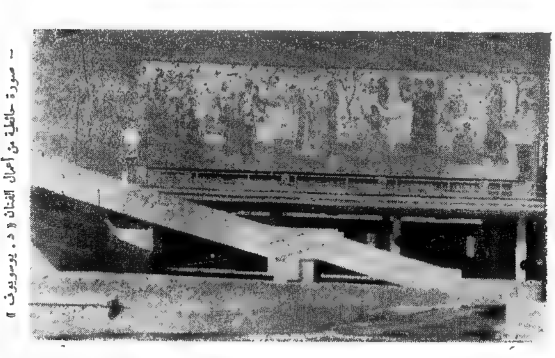


لقد مضت ثمانى سنوات فقط ، فاذا بمدينة عملاقة مترامية الأطراف تقوم وكانها المارد الخرافى الجبار الذى نقرأ عنه فى الاساطير . ولم تظل دهشتى طويلا ، بعد أن عرفت ما حدث .

فما كادت الكارثة تقع ، حتى هبت جميع الجمهوريات الاشتراكية الاربع عشرة التى تؤلف الاتحاد السوفييتى تقدم العون المطلوب للعاصمة

الشقيقة ، والعون من كل نوع ، من الغذاء ومواد البناء والاسعافات الطبية والملابس والاثاث .... الى الأجهزة العلمية والدراسية من كتب وكراريس . لقد كان بحق مثالا رائعا للتضامن الأخوى بين جمهوريات الاتحاد السوفييتي . ولكي تتضح أمام أعيننا صورة لهذه المعاونة الأخوية ، يكفى القول بانه لم تمض ثلاث سنوات على وقوع الزلزال المدمر حتى أمكن انتقال ٨٠ ألف عائلة الى مساكن جديدة ، وشيدت مدارس تضم ٦٥ ألف مقعد ومؤسسات للاطفال تحتوى على ٣٢ الف مقعد ، بالاضافة الى عديد من مؤسسات العلاج والثقافة والتجارة والخدمات العامة . والى جانب كل هذا ، انشئت المدينة الأوليمبية وقصر للرياضة ومجموعات من معاهد التعليم العالى ، بخلاف العشرات من الحدائق العامة والمتنزهات وأماكن اللهو .

ولهذا ، فان طشقند ، اعترافا بروح الأخوة والتعاون الرائع الذى لقيته من سائر الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، فانها اطلقت اسماء هذه الجمهوريات على عديد من شوارعها واحيائها ، وقد رايت لافتاتها تحمل اسماء « موسكوفى » و « لينينجرادى » و « كييفى » و « بيلوروسى » و « اوكرانى » وهكذا .



– صورة حائطية من أعمال الفنان « د. يوسوبوف »

واليوم ، بعد مرور السنوات الثمانى على الكارثة ، تتمتع طشقند بمولدها الجديد ، وكأنها وهى تستعد للاحتفال بمرور الفى سنة على انشائها

فى ٢٨ سبتمبر ، كأنما شاءت لها الظروف أن تتزين كالعروس بالمنشآت الجديدة التى أبدعت القرائح الفنية فى تخطيطها على آخر ما وصلت اليه الهندسة المعمارية من ابداع .

وقد كان لهذا الزلزال ــ غير فضل اعادة بناء طشقند ــ فضل آخر . ففى هذه العاصمة العريقة الشابة انشىء أحدث معهد لأبحاث الزلازل ، حتى يتمكن من السيطرة على الاضطرابات الأرضية بالعلم الحديث .

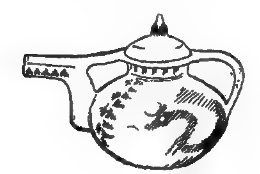
وبهذه المناسبة ، كنت على موعد فى المبنى الجديد لرئاسة الوزراء فى فى ميدان لينين وكانت الساعة الحادية عشرة والنصف ظهر يوم الثلاثاء ٣٠

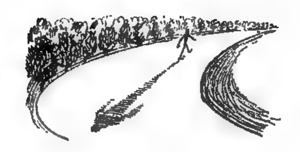


يوليو الماضى عندما شاهدت عشرات الموظفات والموظفين يخرجون زرافات من باب المبنى الشاهق الارتفاع . ومن أحاديثهم عرفت أن زلزال وقع منذ قليل واستمر لمدة خمس دقائق وأنهم شعروا وهم فى الأدوار العليا بالتارجح . وعندما التقينا فى موعدنا داخل المبنى قيل لنا أن هذه المبانى حديثة ومصممة بحيث تقاوم الزلازل ، فهى مؤسسة على هيكل من الحديد وبهندسة علمية مجربة .

هذا ما رأيت بعد أن كنت سمعت .

وهكذا زال عجبى ، ليحل مكانه أعجابى .





طريق إلى الجنة

وجدنا أنفسنا نحن الثلاثة « بوريس وناريمان وأنا » فى أطراف طشقند وكان الوقت ظهرا والشمس فى أوج شدتها ، فاتجهنا نحو حديقة اسمها حديقة « بابيوا » أى الانتصار . وكان البرنامج الذى أعده « ناريمان » لزيارة معرض المنجزات الصناعية الزراعية قد تعذر تنفيذه بسبب اغلاق مبنى العرض للترميمات السنوية . وكانت محنة ناريمان فى هذا الجو القائظ تتضاعف لانه كان يقدم الاعتذارات عن عدم تحضيره لزيارة المعرض بشكل كاف ، وكنت أشارك « بوريس » فى دفعه الى مواصلة الاعتذار بطريقة ـ او باخرى ، فناريمان هذا يشجع المرء على مداعبته لخفة دمه . ووجدنا انفسنا نسير بغير برنامج سبق اعداده ، بل بشكل تلقائى ، وكانت الظلال الوارفة قد اعادت الينا بعض الرفق الذى كدنا نفقده تحت سطوة الشمس ولهيبها .

ولم يكن امامنا أن نختار بين الطرق العديدة تحت هذه الغابة المرتفعة الأشجار ، لان الطرق جميعها كانت تتشابه مع بعضها ، وهى تبدو كأنها دروب طبيعية خطتها أقدام الناس بدون أن يكون للهندسة دور فيها ، فمشينا فى أوسعها ، وكان من حولنا يمينا وشمالا عديد من المناضد المثبتة فى الأرض وكذلك مقاعدها وعلى بعضها يجلس اشخاص بعضهم يستذكر فى كتاب والبعض الآخر يتسامر ، والهدوء يخيم على المكان . وشاهدت على جانبى الطريق صورا فوتوغرافية للقادة العسكرين من الأوزبيك والروس المقيمين فى طشقند والذين استشهدوا فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية وكان عددهم ٢٦ يحملون جميعا ارفع وسام عسكرى فى الاتحاد السوفييتى وهو وسام « النجمة الذهبية » وكان أول اسم هو

للجنرال الاوزبيكى « صابر رحيموف » الذى اشترك فى معركة ستالينجراد واستشهد فى مارس ١٩٤٥ .

ان مثل هذه اللوحات تدل على الاهتمام الذى تحرص عليه الدولة والحزب فى ضرورة تذكير الشباب الذى لم يعان نفسه ظروف الحرب وويلاتها وكم يتكلف الدفاع عن الوطن من أرواح غالية ، وليدرك ان الحياة التى يعيشها فى ظروف الاستقلال الوطنى لم تتحقق بغير ثمن ، وان السلام لا يمكن ضمانه بغير التأهب للدفاع عنه دائما .

فالعدو الذى مات واحد وهو النازية ، ولكن هناك أعداء آخرين ما زالوا احياء طالما بقى على الأرض استعمار واستعماريون وامبرياليون يحلمون باستعادة سيطرتهم على العالم واستئناف نشاطهم غير الانسانى فى قهر الشعوب واستغلال ثرواتها ، ولذلك فهم يتربصون الفرص ، بل ويحاولون صناعتها كلما كان هذا ممكنا ، من أجل معاودة ما فشل فى تحقيقه هتلر . ولهذا تقوم السياسة الاعلامية السوفييتية على منطق واضح لكل ذى ادراك ، وهو ان المسالم القوى الواعى احق بالحياة الحرة من المستسلم الضعيف . وهو منطق بسيط ومقنع .

وشاهدت نوعا آخر من اللافتات تحمل صورا فوتوغرافية كبيرة لأبرز العمال والموظفين الذين يحمل كل منهم لقب « بطل العمل الاشتراكى » .

وفى نهاية الطريق كانت هناك بركة كبيرة ــ تكاد تصبح بحيرة ــ تموج بالحياة ، شباب بملابس السباحة وفتيان وفتيات يشغلون جانبا من بداية البحيرة ، وعلى الشاطىء اقيم سقف يظلل تحته مساحة لتناول الطعام والمشروبات المثلجة .

وعلى طول هذا الشاطى شاهدت « شايخانات » ومطاعم ومقاه خشبية يجلس فوقها المتفرجون على البحيرة التى يتوسطها تمثال كبير لعروس البحر ، والزوارق البخارية تمرق من حوله ذهابا وجيئة .

واسلمنا هذا الشاطىء الى دغل آخر كثيف الاشجار كسابقه ، وفى موضع منه شاهدت ارجوحة على هيئة طائرتين مرفوعتين الى أعلى عامود ضخم وهى عندما تدور يصدر منها صوت يظل يتزايد حتى يصبح كأنه ازيز الطائرة ، والطائرتان تدوران بسرعة كبيرة نسبيا مما يعطى للأطفال تجربة الطيران من أولها . وكم وددت لو ان هذه الفرصة كانت أتيحت لى عندما كنت صغيرا .

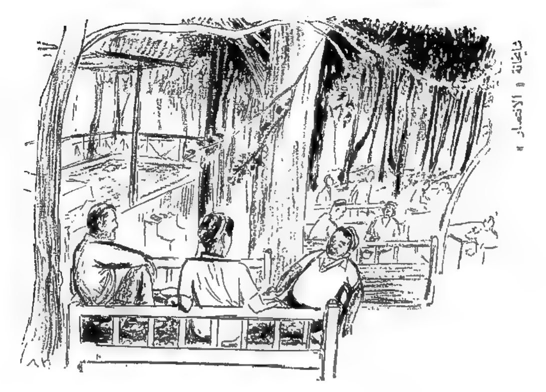
وبغير توقع وجدت امامى منظرا شد انتباهى له من أول نظرة . رأيت وسط الاشجار العالية مساحة من الحديقة وضعت فيها أرائك كبيرة يبلغ طول الواحدة مترين فى مترين ، ولها حاجز من جوانبها الثلاثة يجلس عليها المواطنون يتحدثون ويشربون الشاى ، وللتو حضرت فى ذهنى صورة سبق أن قرأت عنها فى قصص الف ليلة وليلة ، عندما كان رجل فقير .



— الشاي الأخضر في إحدى الشايخانات

يسير فى يوم قائظ فاذا به أمام بستان وارف الظلال فدخله وسار فى دروبه فاذا به يرى اريكة مفروشة بالوسائد فتمدد عليها واستسلم لنوم عميق وسط حفيف الشجر حين يداعبها النسيم ورفرفه العصافير وزقزقتها ، ثم هب من نومه مذعورا على صوت يقترب فاختبأ خلف الأريكة واخذ يطل برأسه خلفه على موكب مقبل بين الاشجار لحسناء محمولة على محفة بين أربعة من الزنوج المفتولى العضل ومن حولها جوقة من الحسان يعزفن على آلات موسيقية الحانا عذبه ، وعندما اكتشفوا أمر الرجل المختبىء امسكوا به ، وأفقت من هذا الشرود ، بعد أن عثرنا على أريكة فى أقصى « الشايخانة » مفروشة ببساط فوقه « طبلية » مربعة فجلسنا حولها ونحن نجيل ابصارنا فى الجو اللطيف الذى كنا فيه .

ولم يمض وقت يذكر على مجىء الشاى الأخضر حتى لمح « بوريس » شخصا يعرفه مع بعض أصحابه . وقد تعرفنا عليه ـ وهو يعمل بمحطة اذاعة طشقند ـ وشاركونا فى جلستنا ، أو بالاصح ، اصبحنا نحن ضيوفهم . فقد لقيت منهم استقبالا جميلا وترحابا صادقا حقيقيا ، وهذه من الصفات الاساسية للشعب الأوزبيكى فانت اذ طرقت اى باب تصادفه فانه بمجرد فتح الباب تلقى الترحاب القلبى وحسن الاستقبال . وكان على أن أعانى من


شايخانة « الانتصار »

هذه الضيافة ونحن فى الشايخانة ، ذلك انى كنت قد تناولت افطارى متاخرا ، فلما جاء عامل الخدمة يحمل صينية نحاسية كبيرة فوقها تل من الارز واللحم يسمونه « الليلاف » حاولت الاعتذار عن المشاركة فى الاكل ، فسمعت مضيفنا يقول نفس الذى نقوله فى مصر وبخاصة فى الصعيد :

(تبقى كبيرة .. لازم تشارك ولو بأى مقدار .)

واشتركنا فى استعراض التشابه بين عادات شعبينا . وانتقلت احاديثنا من موضوع لآخر ، حتى اظهرت اعجابى لهذا المكان ومقارنته بجو الف ليلة وليلة ، فقال احدهم ، انه يتذكر الآن كلمة قالها زعيم لأحد الأحزاب الشيوعية فى اوروبا ، حول واجبات العمل الاشتراكى ، وأنها تحويل الدنيا الى ما يشبه الجنة التى يحلم بها الناس المتدينون بعد الموت وان الواجب أن تقام على الأرض بتحقيق العدالة الاجتماعية .

وقد استعرضت معهم خلال الحديث جوانب التطور فى الحياة الأوزبيكية بعد الثورة ، ابتداء من القضاء على الامية تماما ، وتحرير المرأة ، والحفاظ على المستوى الصحى اللائق لحياة الناس ، وحق العمل لكل قادر ، الى رعاية الطفولة والشباب ، والتى تصب فى نهاية الأمر عند رفع مستوى معيشة الشعب الأوزبيكى .

واختتم حديثه بتعليق حسم المناقشة حين قال :

واضح ان هذه التجربة الفريدة دليل عملى على أن أقامة الجنة على الارض امل ممكن ، وان يتحقق الآن فى بلادنا الاشتراكية هو بداية لذلك .

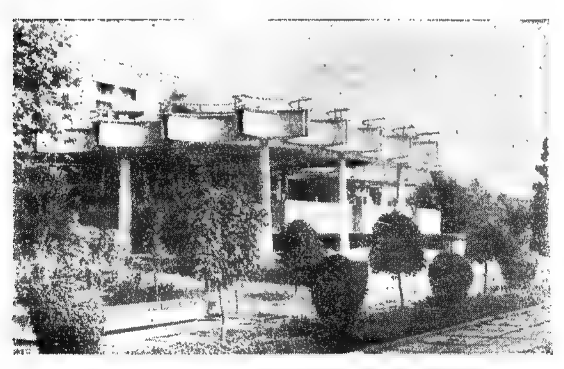
والتفت احدهم وهو يشير الى المنظر الذى حولنا ويقول ان الاختلاف بين هذا والف ليلة وليلة هو ان البساتين هنا متاحة للشعب وللشغيلة وليست لطبقة الاغنياء وحدهم .

• التضامن الاشتراكى

تعتبر التجربة الأوزبيكية فى بناء الاشتراكيـة مثالا واضحـا على ما يمكن أن يحققه التعـاون الاخوى بين جميـع الجمهوريـات السوفيتية . فالثورة الاوزبيكية قد استفادت اكبر فائدة من دعم الجمهوريـات الأخرى فى الاتحاد السوفييتى ــ وبخاصة جمهورية روسيا ــ فى التخلص من حكم الرجعية المحلية هناك ، وفى القضاء على قوى الثورة المضادة التى اشعلت نار الحرب الأهليـة ، وفى التخطيط للتحول نحو الاشتراكيـة فى الصناعة والزراعة والثقافة ومحو الامية وسائر احتياجات التحول الاساسيه .

وعندما وقع زلزال ١٩٦٦ هبت الجمهوريات السوفييتية لتمد يدها بالعون المطلوب حتى اعيد بناء طشقند فى زمن خيالى وعلى احدث طراز فى العـالم .

فبفضل هذا التضامن الأخوى قامت الجمهورية الاشتراكية السوفييتة فى اوزبيكستان ، وبفضله تتم كل انجازات التطور العلمى ايضا .



شايخانة حديثة فى قلب طشقند

لهذا ، فان النظرة الواعية التى تسود وتنتشر بين جموع الشعب
الأوزبيكى تضع الأهمية الأولى فى حياتها اليقظة ،
التضامن هذه ، حماية لما تم انجازه ، وأملا فى مز

ولنأخذ مثالا على ذلك .

فالمعروف ان اربعة أخماس اراضى آسيا الوسطى صحار غير مزروعة وغير قابلة للزراعة لعدم توفر الماء الكافى . وقد أعلن أخيرا عن مشروع جبار ، لتحويل مياه سيبيريا التى تتألف من ثلاثة أنهار هى (أرطيش ، وأوب ، ويانيسيه) وبدلا من أن تصب فى بحر الشمال يتم توجيهها جنوبا حتى جنوب « كازاخستان » لتنضم الى نهر « سيحون » فى منطقة طشقند، ثم تتجه نحو « سمرقند » وتتجمع فى نهر « زرفشان » ، ثم تنعطف شمالا فى مجرى النهر القديم « اقجه دريا » ثم تنضم أخيرا الى نهر « جيحون » عن طريق قناة طولها ثلاثة آلاف كيلو متر بعرض من ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر وبعمق بين ١٢ و ١٥ مترا . أن مثل هذا المشروع سوف يقلب موازين القوى الانتاجية بالمنطقة تماما . فسوف يساعد على استصلاح ملايين الهكتارات ، كما سيضيف الى الرقعة المسكونة عديدا من المدن لا بد وأن تنشأ فى الأراضى التى كانت صحارى غير مأهولة بالسكان من قبل .

هذا علاوة على الانشاءات الصناعية التى ستقام على طول القناة ، مثل مصانع الأسمنت والتجهيزات الصناعية الأخرى التى تدخل فى بناء القناة . فكل هذه المراكز الصناعية سوف تقام لتعمل ــ حتى بعد انشاء القناة ــ وهذا اضافة كبيرة الى مؤسسات الانتاج الصناعى .

فضلا عن ان هذه المراكز الصناعية سوف تقام فى جمهوريات أخرى سوفييتية ، وهى التى تمر القناة فى أراضيها .





أرض الأساطير

• اسطورة الكارناى

فى بعيد الزمان كان يعيش رجل فقير وله ولدان ، وعندما حان وقت موته دعا ولديه وقال لهما :

ياولدى قريبا ستكونان وحدكما ، وارجو ان تعيشا فى صداقة وتعاون معا وقت الشدة .

ثم مات ، وعلى الفور بدأ النزاع بين الأخوين على الميراث .

وفى يوم من الأيام ، رأى الأخ الأصغر فى منامه حلما هذا ملخصه :

اقترب منه أبوه وقال له ــ يابنى أرجو منك أن تعطى لأخيك الكبير كل شىء لأنه يعول الأسرة وانت خذ « الكارناى القديم » (وهو مزمار كبير) واذهب وتجول فى الدنيا وانفخ فيه لأصحاب الهموم والسرور ، وستحصل بهذا على سعادتك .

وعندما استيقظ من النوم ، نفذ الأخ الصغير وصية والده وأعطى جميع ما يملك الى أخيه ، ثم أخذ « الكارناى » وانصرف .

وذات ليلة وجد نفسه فى حفرة تحت سطح الجبل فقرر أن ينام فيها تلك الليلة ، ولم يكن يعرف أن الشياطين تسكن فيها وأنها تخفى داخلها كنوزا وجواهر وذهبا . ولما أظلم الليل تجمع الشياطين فى المغارة وأخذت تتحدث بافتخار عن الذى عمل فى هذا اليوم .

أنا ــ هكذا قال الشيطان الأول ــ ذهبت بعقل ابنة أحد الملوك وحتى

لا يمكن من علاجها ، خصصت اثنين من الجن الغير مرئيين لكي يرقباها ليل نهار حتى لا يؤثر أى دواء فى علاجها .

وقال الشيطان الثانى وكيف يمكن تخليصها من مرضها ؟

فأجاب الشيطان الأول ـ عندما يدوى صوت « الكارناى » بقربها فجأة ، يخاف الجنيان ويهربان ، وتعود البنت الى طبيعتها فى صحة جيدة .

وجاء كبير الشياطين وصاح ـ بوف .. بوف .. انا اشم رائحة انسان .. ألا يشعر أحدكم بذلك ؟



وتفرق الشياطين بالمغارة وسحب الى وسطها الشاب وهو يرتعد خوفا . وصاح كبير الشياطين :

ـ سنمزقه الآن اربا اربا .

ولكن الشاب لم يرتبك وتناول الكارناى ونفخ فيه ، فارتبكت الشياطين وقذفت بما تحمل من أموال وكنوز الى الارض وفرت هاربة .

وفى الصباح اشترى الشاب من المراعى أربعين جملا واربعين حمارا

وشحن صناديق واوعية الجواهر فوق ظهورها وعاد الى بيته ورأى أخاه فى حزن عميق جالسا على باب البيت وهو يندب حظه بعد ان ضاعت امواله واصبح فقيرا وأولادهم جياع . فطمأنه الأخ الصغير وقدم الى اخيه الأكبر الأموال الكثيرة ثم انصرف حاملا مزماره ـ « الكارناى » ليواصل تجوله فى أنحاء الأرض .

وهكذا اخذ ينتقل من قرية الى اخرى وهو ينفخ بالكارناى فى حفلات الزفاف حتى وصل الى مدينة يغمرها الحزن وتعيش فى صمت عميق ، وعرف أن السبب هو أن بنت الملك ووحيدته مريضة منذ سنين ، لا تأكل ولا تشرب ولا تنطق بكلمة ولم تشاهد على وجهها ابتسامة ، ولذلك أمر الملك بمنع الأغاني والألعاب والضحك والأفراح ، كما أنه وعد بأن يتنازل عن نصف ملكه لمن يقدر على شفائها بعد أن عجز كل الأطباء عن ذلك .

وسمع الشاب هذه الكلمات فذهب الى القصر وقال للملك :

ـ سأعالج ابنتك .

واخذه الملك الى حيث رأى الأميرة راقدة ، فطلب الشاب من الحاضرين أن ينصرفوا جميعا ، فلما خرجوا تناول مزماره ثم نفخ فيه بقوة ، وما كاد الجنيان يسمعان صوت الكارناى حتى تملكهما الخوف فانطلقا هاربين ، وعاد للأميرة صوابها وصحتها كما كانت .

وعرض عليه الملك نصف مملكته ، ولكن الشاب رفض الأملاك وطلب من الملك أن يسمح له بالنفخ فى مزماره على الشعب الذى حرم سنين طويلة من سماع الموسيقى .

وانتشر خبر شفاء الاميرة فى جميع ارجاء المملكة وبدأ الأمراء يتوافدون



على قصر الملك لطلب يد الأميرة ، ولكنها كانت ترفض لأن قلبها تعلق بالشاب الذى انقذها .

ياابنتى ـ قال لها الملك الأب بحزن ـ لقد شاب شعرى وليس لى وريث . وليس هناك حل سوى أن تذكرى أسم الشاب الذى يناسب مقامى وعرشى ليتزوجك .

وردت الأميرة ـ يا أبى . أصدر أمرك الى جميع الرجال الساكنين فى أراضينا أن يمروا تحت شباك القصر وسوف أختار الذى يناسبنى .

ووافق الملك ، وبدأ رجال البلد يمرون تحت شباك القصر ولكن لم يقع اختيارها على أحد . وسأل الملك :

هل بقى هناك آخرون ؟

وقال الحراس ـ قد مر جميع الرجال ما عدا الشاب الفقير عازف الكارناى .

ودعا الملك الشاب وسأله عن سبب تخلفه عن المرور مع الرجال تحت القصر .

وقال الشاب ـ قد مر أمام عيون الأميرة أغنى وأشهر الفرسان وقد رفضتهم جميعهم . أما أنا عازف الكارناى الفقير فكيف أجرؤ على الدخول فى منافسة مع الأغنياء .

ولكن الملك رفض أن يسمع حجته وأمره بالمشى تحت شباك الأميرة .

وما كادت نظرات الأميرة تقع عليه حتى قذفت اليه بزهرة ، وهذا هو التعبير عن قبولها له .

واستمر الاحتفال أربعين يوما وأربعين ليلة فى زفاف عازف الكارناى والأميرة .





اسطورة ماء الخلود

فى قديم الزمان احتل الاسكندر ذو القرنين العالم باجمعه ولكن فى احدى غزواته بدات جروحه تؤلمه وشعر بدنو اجلـه فـدعا احـد الاطباء المصاحبين له وقال :

ــ قد حان اجلى ولكننى لا اريد ان اموت . بل اريد ان اعيش واظـل ملكا على البلاد التى فتحتها الى الابد ، فابحثوا عن العقاقير التى تمد فى عمرى وتطيله قرونا وقرونا .

وفكر اشهر واذكى الاطباء فى ذلك ثم نصح الاسكندر بـان يشرب من ماء الحياة الذى يتدفق من باطن الجبل فى عين تقع بالاراضى البعيدة ، وقال ان من يتذوق منها قطرات معدودة يعيش الى الابد .

وامر الاسكندر فحملوه على محفة واخذ الجنود يسرعون به فى طريق يمر داخل غابة من الاشجار الظليلة تحميه من اشعة الشمس المحرقة ، كما كانت النباتات الشائكة تحميه من الرياح الساخنة اللافحة ، حتى وصلوا الى جوار العين فوضعه الجنود ثم انصرفوا .

واستيقظ الاسكندر وغرف الماء بالمغرفة الذهبية وما كـاد يقربها من شفتيه حتى ظهر امامه رجل نحيل أشيب محنى الظهر وقال هامسا :

ــ يابنى ، اذا شربت الماء من هذا المصدر فسوف تصبح خالدا .

فرد الاسكندر بحدة ــ ولكنى أريد ذلك .

وقاطعه العجوز ــ لا تستعجل يابنى . أولا استمع الى حكايتى . فمنذ ثلاثة آلاف سنة سيطرت بجيوشى على جميع الدول التى كـانت موجودة

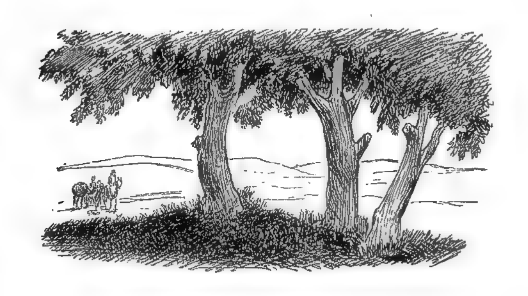
فوق الأرض وقتها وكان العالم كله تحت قدمى ، ولم يكن احد مـن الناس يجرؤ على أن يرفع نظـره نحوى . وفى ذلك الحين قـررت أن أكون خالدا لكى أظل آمرا واحكم الشعوب والدول . وشربت من هذا المصدر . وما كاد يمر ١٠٠ سنة فقط حتى اصبح اسمى ملعونا فى كل البلاد . والآن عندما اقترب من الناس واذكر لهم اسمى يبصقون فى وجهى ويطلقون على القاب « السفاح وقاطع الطرق » وذلك لأنى نشرت الشرور فى وجـه الأرض كما فعلت انت .

وفجاة اختفى العجوز وبقى الاسكندر غارقـا فى تفكير عميق ، واخذ زجاجة صغيرة كان قد ملأها بالماء ووضعها فى قميصه عند صدره ونادى على الجنود أن يحملوه للعودة الى داره . وكان الموت ينتظـر الاسكنـدر فى الطـريق .

وبعد قليل توقف الجنود ووضعوا محفة الاسكندر فى ظل ثلاثة أشجار « القره اغاتش » (ومعناها الشجر الأسود) واخرج الاسكندر القارورة من صدره ، ثم تراجع عن شرب ماء الخلود ، وسكبه على الأرض .

ومرت القرون على هذه الارض ، فاذا بالأشجار الثلاث السوداء تخضر أوراقها وسط الحقول الظامئة لتهدى المسـافرين المرهقين من شـدة الحر ولتمنحهم بعض الظلال والمأوى .

أن تعلق الأوزبيكيين بالأساطير واهتمامهم بتناقلها جيلا بعـد جيل : عادة قديمة نشأوا عليها وتوارثوها أبا عن جد ، ذلك أنها كانت دائما تحتوى على نوع من الحكمة يسترشد به الناس فى تربية أولادهم ويستخلصون منها



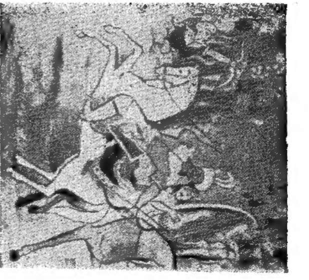
مبادىء انسانيــة وأخلاقيــة . ولست معنيــا بدراســة محتوى هاتين الأسطورتين باستفاضة ، ولكنى أعرض بهما نموذجا يفيد فى التعــرف على الصفات التى يتميز بها الشعب الاوزبيكى ، من عراقة تاريخ وانجذاب نحو الخير للبشرية ، كما تدل اسطورة ماء الخلود . وكمــا تدل على قوة الفن والثقافة وعمق التأثير فى نفوسهم ، وهو بعض ما تــدل عليــه اسطورة الكارنتاى . واكاد اتصور اليوم الذى تختفى من حيــاة النــاس تماما كل الأساطير ولا تصبح سوى مجرد تفسير الماضى والبحث عن الغــرائب التى عاشت فى ظلها الشعوب السابقة . أكاد أتصور ان الأسطورة عندما تختفى فسوف تحــل محلهــا بالضرورة اسطورة مــن نــوع جديــد ، اسطورة الاشتراكية التى قامت فى أوزبيكستان وفرضت وجودهــا لتغير من مصير ملايين البشر وتنقلهم مــن عصر التخلف والتأخــر الى العلم والتكنولوجيا الحديثة ، فى زمن كان أهل الخبرة والتجربة من العلماء يعتبرونــه ــ ومــا زالوا يعتبرونه ــ أمرا فى حكم المستحيل ولكنه تحقق بالفعل .

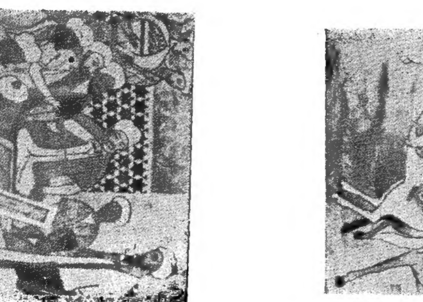
وهذه هى المعجــزة .





من رسومات الفنان الاوزبيكي شنغيز آخمروف







دار « نافع » للطباعة ت ٩٠٠١١٨ رقم الايداع بدار الكتب ٥٤٤٩/١٩٧٤

صدر اخيرا :

١ ـ **الصهيونية ودورها فى السياسة العالمية**
تاليف ـ هايمان لومر
ترجمة ـ محمد مستجير مصطفى

٢ ـ **مخطوطات كارل ماركس**
ترجمة ـ محمد مستجير مصطفى

٣ ـ **الحروب والسكان**
تاليف ـ ب . أورلانيس
ترجمة ـ سعد رحمى ـ أحمد القصير

٤ ـ **الامن الاوروبى والشرق الاوسط**
تاليف ـ حسين فهمى

٥ ـ **التعايش السلمى وحركة التحرر الوطنى**
تاليف ـ حمدى عبد الجواد

٦ ـ **الامن الاسيوى والشرق الاوسط**
تاليف ـ فؤاد عبد الحليم

٧ ـ **القرية المصرية**
تاليف ـ فتحى عبد الفتاح

الناشر : دار الثقافة الجديدة

٣٢ شارع صبرى ابو علم ـ القاهرة
ت ٥٨٧٨٠ ـ ٥٨٤٧١

شيء من التاريخ

الثقافة مع الرغيف

المسلمون في أوزبكستان بخير

مصارعة الزلازل

الشايخانة = المقهى

سرقة الأعمى إسماعيل

مات الاستعمار القيصري تحيا الاشتراكية

سمرقند عمرها ٢٠٠٠ عام

صحراء من الذهب

الزعيم الملتحم بجماهيره

نفذ أمر القاضي ولا تفعل مثله

مع ابن سينا

الإمام البخاري

مراسيم دفن الأمية

مع الفارابي

مع الموسيقار العالمي مختار أشرفي

أساطير

دار الثقافة الجديدة الثمن ٤٠ قرشاً